بين الطب والدجل

[ملهاة من ثلاثة فصول]

تأليف

جيل رومان

Jules Romains

وترجمة

الدكتور عبد العزيز برهام

الأستاذ بكلية الآداب بالأسكندرية

الناشر

لجنة البيان العربى

يناير ١٩٥٣

مطبعة لجنة البيان العربى

١ شارع مصطفى باشا كامل . لاظوغلى

بين الطب والدجل

[ملهاة من ثلاثة فصول]

تأليف

جول رومان

Jules Romains

وترجمة

الدكتور عبد العزيز برهام

الأستاذ بكلية الآداب بالأسكندرية

الناشر

لجنة البيان العربي

يناير ١٩٥٣

مطبعة لجنة البيان العربي

١ شارع مصطفى باشا كامل ، بالظاهر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

ولد Louis Farigole الشهير بـ Jules Romains «جيل رومان» الـكاتب الفرنسى فى Saint - Julien - Chapteuil بفرنسا عام ١٨٨٥ ، ودخل مدرسة المعلمين العليا عام ١٩٠٦ ، ونجح فى مسابقة الأهلية للفلسفة عام ١٩٠٩ . وقد أخرج عدة قصص ومسرحيات ومقطوعات شعرية ، وهو من أنصار مذهب الـ unanimisme أى تصوير الروح الفريد الذى يبعث الحياة فى كل جماعة . ومن أشهر مؤلفاته :

١ — فى القصص :

« نهضة القرية » (١٩٠٦) ، و « نفوذ باريس » (١٩١١) ، وموت واحد (١٩١١) ، و « الرفاق (١٩١٣) ، و «- Donogoo Touka » (١٩٢٠) ، و « La Triade Psyché » وهو مؤلف من : « Lucienne » (١٩٢٢) ، و « إله الأجسام » (١٩٢٨) . و« عندما السفينة . . . » (١٩٢٩) ؛ ومن وضعه سلسلة « ذوو الإرادة القوية » (١٩٣٢) .

٢ — المسرحيات :

« الجيش فى المدينة » (١٩١١) ، و « Cromedeyre العجوز » (١٩٢٠) ، و « Le Trouhadec الذى انغمس فى الغواية » (١٩٢١)

و « كنك أو انتصار الطب » (١٩٢٣) الذى ترجمناه بعنوان « بين الطب والدجل » لأنه أكثر دلالة على ما به ، و « زواج Le Trouhadec » (١٩٢٥) ، و « La Scintillante » (١٩٢٥) ، و « المستبد » (١٩٢٦) ، و « Démétrios » (١٩٢٦) ، و « Amédée » (١٩٢٦) ، و « Jean Le Maufranc » (١٩٢٦) ، و « Jean Massé » (١٩٣٠) ، و « Donogoo » (١٩٣١) ، و « الملك المقنع » (١٩٣١) الخ .

٣ — الشعر :

من شعره « روح الرجال » (١٩٠٤) ، و « الحيـاة الموات » (١٩٠٤ — ١٩٠٧) الخ .

وقد نجح Jules Romains أكثر ما نجح فى التأليف المسرحى ، بالهزل الذى يحتفظ فيه المازح بهيئة الجاد ، وبالسخرية الفكهة ، التى يوردها فى هجو العادات الأخلاقية . وتعد مسرحية « كنك » واسطة العقد فى هذا النوع . ولذلك وجدت فى نقل هذا الأثر العظيم إلى اللغة العربية ما قديمين كثيراً من المعنيين بالتأليف المسرحى أو دراسته على الاحتذاء حذوه . ففيه يتجلى الفن المسرحى والسخرية اللاذعة ، ودراسة الطباع النفسية كل التجلى . وقد حاولت استعمال المجاز فى وضع بضع كلمات لألفاظ فرنسية شائعة ليس لها ما يقابلها فى لغتنا العربية ؛ وستبدو هذه الكلمات بادئ الأمر غريبة ، ولكن استعمال الكتاب لها كفيل بإذاعتها . والله الموفق .

ربيع الآخر ١٣٧٢

يناير سنة ١٩٥٣

المترجم

عبد العزيز برهام

أشخاص المسرحية

كنك
الدكتور پرپليه
موسكيه
منادى القرية
الفتى الأول
الفتى الثانى
سيپيون
يوحنا

عقيلة پرپليه
عقيلة ريمى
السيدة ذات الرداء الأسود
السيدة ذات الرداء البنفسجى
الخادمة
صوت مرتفع ، مرتفع .

مثلت هذه المسرحية أول مرة فى باريس فى : La Comédie des champs Elysées
فى ١٥ من ديسمبر سنة ١٩٢٣ بقيادة Jacques Hébrtot ، وإشراف Louis Jouvet
على الإخراج . وقد اشترك فى التمثيل السيدات Iza Reyner, Irmat Perrot,
Coutant Lambert, J. Tisserand, Mag. Bérubet, Evséeff , A. Héraut,
وحضرات Saint isles, Mamy, Ben Danou, Gaultier, Louis Jouvat,

الفصل الأول

يحدث الأمر داخل أو حول سيارة بالغة القدم من نموذج ١٩٠٠ — ١٩٠٢ . هيكل السيارة ضخم (عربة مزدوجة المقاعد أحدثت بها إصلاحات ، ورقعت بصفائح من الصاج بعد أن أنهكها الاستعمال ، فصارت كأنها عربة مكشوفة)

نحاسها مفرط الحجم ، قصارة صغيرة فى صورة مدفأة . وتنتقل السيارة فى جزء من الفصل .

يبدأ السير بالقرب من محطة صغيرة ، ثم يأخذ الطريق الجبلى فى الصعود قليلا قليلا .

منظر وحيد

كنك والدكتور پرپليه ومدام پرپليه ويوحنا

الدكتور پَرَپلِيه : هل كل متاعك هنا ، يازميلي العزيز ؟

كَنُكْ : كله ، يا دكتور (پرپليه)

الدكتور پرپليه : سيضعه (يوحنا) على مقربة منه ؛ أما نحن الثلاثة فسنجلس خير جِلْسة فى مؤخّرة السيارة ، فإن هيكلها رَحْب ، ومقاعدها حدّ مريحة ! آه ! إنها ليست من مصنوعات اليوم الضيقة !

كنك ليوحنا (وهو يضع الصندوق) : أوصيك خيراً بهذا الصُّندوق ، فلقد وضعت فيه بعض أجهزة قابلة للكسر .

يشرع (يوحنا) فى ترتيب متاع (كنك)

عقيلة پرپليه : إن من الخسارة أن نفرط فى هذه (العربة) فنبيعَها ؛ لأنى سأندم عليها كثيرا إن فعلتُ .

يحملق (كنك) فى (العربة) فى دهشة

الدكتور : لأنها بالاختصار سيارةٌ بها ما (بالفَيتون) ذى المقعدين من مزايا .

كنك : أجل ! أجل !

تختفى الدكة الأمامية كلها تحت الأكداس

الدكتور : أنظر كيف اتسعت لمتاعك بسهولة ! ولن يضايق قط (يوحنا) ،

حتى إنه لمن المؤسف ألا يكون معك غيرُ هذا ، إذ بذلك
كنتَ تستطيع أن تتحقق من رَحابة سيارتى .

كنك : هل تبعد (سانْ مُوريس) كثيرا من هنا ؟

الدكتور : إنها تبعد أحدَ عشرَ كيلو مترا . وهذا البعدُ نفسُـه عن محطة السكة الحديدية يعين كثيرا على ولاء الزبائن للطبيب ؛ فهم لا يخدعونه بالذهاب إلى عاصمة الإقليم يطلبون العلاج .

كنك : ولم ؟ أليس هناك إذن من ناقِلة[1] ؟

الدكتور : هناك ناقلة يرثَى لها ، وتوحى إلى راكبها بأن من الخير له أن يقطع المسافة سيرا على قدميه عن أن يستقـلّها !

عقيلة الدكتور : ليس من السهل أن يعيش المرء هنا بدون سيارة .

الدكتور : ولا سيما الطبيب .

يظل (كنك) محتفظا بهيئة الرجل الظريف ، ولا تؤثر فيه الكلم .

يوحنا للطبيب : هل أستعد المسير ؟

الدكتور : نعم . تأهب ، يا صديقى !

يشرع (يوحنا) فى عمل أعمال عدة ، فيرفع القصارة(٢) ، ويفك الشمعات ، ويضخ البنزين الخ .

عقيلة الدكتور لـكنك : إن منظر الطبيعة فى الطريق غايةٌ فى الإبداع .
وقد سجلَـتْه Zénaïde Fleuriot فى قصة من أروع قصصها لا أذكر عنوانها .

---

(١) سيارة عامة (سوارس) تتنقل بين القرى والمدن Diligence

(٢) القصارة : (بضم القاف وفتح الصاد) غطاء المحرك ؛ والأصل أنها غطاء حبة القمح .

(تصعد السيارة وتقول لزوجها) لتجلس على الأكسح[1] .
أليس كذلك ؟ أما الدكتور (كنك) فسيجلس بجانبي
ليمتع بصره جيداً من مرأى الطبيعة .
يجلس (كنك) عن شمال عقيلة الدكتور .

الدكتور : إن رحابة الهيكل تجعل ثلاثة أشخاص يجلسون مستريحين على الأريكة الخلفية . ولكن التأمل فى مشاهد الطبيعة يقتضى الانبساط فى الجلوس (يقترب من يوحنا) هل كل شيء على ما يرام ؟ هل انتهيت من تزويدها بالبنزين ؟ فى الاسطوانتين ؟ وهل فكرت فى أن تنظف الشمعات بعض الشيء ؟ كان من الأحوط أن تفكر فى هذا بعد مرحلة طولها أحد عشر كيلو مترا . لُفَّ المبخِّر Carburateur جيدا . إن لفاعا (كوفيَّة) ربما خير من هذه الخرقة . (وهو عائد إلى مؤخرة السيارة) حسنا ! حسنا ! (يصعد الى السيارة) سأجلس ، معذرة ، يا زميلى العزيز ! سأجلس على هذا الأكسح الرحب الذى لا يكاد يتميز من وثير[2] يطوى .

عقيلة الدكتور بريليه : إن الطريق سيأخذ دائما فى الارتفاع حتى (سان موريس) فالسير على الأقدام مع هذه الأحمال يكون من الصعوبة بمكان ؛ أما بالسيارة فما أبدعه !

(١) الأكسح : كرسى إضافى يغلب أن يكون بغير قوائم ، يوضع فى داخل السيارة ، وفى دور الخيالة وغيرها Strapontin ، وأصله : المقعد (بضم الميم وسكون القاف) الذى قطعت قدماه .
(٢) الوثير : الكرسى الواسع المريح المبطن بالجلد ونحوه والذى يسمى Fauteuil

الدكتور : يا زميلى العزيز ! لقد كنت قديما أداعب أحيانا شياطين الشعر ، فنظمت ذات مرة مُقَطَّعَةً فى أربعة عشر بيتا ، فى فوائد الطبيعة التى سنمر بها ، ولكنى لا أكاد أذكر منها شيئا .

« أيتها الوديان العميقة ! يا معزل الرعاة ... ! »

(يدير يوحنا المدور(١) فى يأس)

عقيلة الدكتور : إنك تُصِر يا (البير) ! تصر منذ سنين على أن تقول : « عميقة » والصواب أن تقول : « أيتها الوديان الهاوية » كما كتبتَها أولا .

الدكتور : هذا حق ! هذا حق ! (يسمع انفجار) . اصغ ، يازميلى العزيز ! كيف يبدأ المحرك عمله جيدا . لا يكاد يدار المُدَوِّر عدة دورات ليجذب الغاز حتى يدوي انفجار . . . انفجار آخر . . . وها نحن أولاء نسير .

يجلس (يوحنا) فى مقعده ، ويهتز المركب ، وتمر مشاهد الطبيعة شيئا فشيئا

الدكتور (بعد قليل من الصمت) : صدقنى ، يا خالفى العزيز ! (يربت كتف كتفك) : لأنك منذ هذه اللحظة خَلَفى ! — أن صفقتك مُربحة : أجل ! فمنذ الآن زبائنى هم زبائنك ، حتى لو أن زَبونا ما عرفنى فى أثناء الطريق حين مرورنا ، رغم السرعة التى نسير بها ، وطلب أن أسعفَهُ ، فسأنحى قائلا له : « إنك واهم ، يا سيدى ! هاك طبيب

(١) المدور : (بفتح الدال وتشديد الواو وكسرها) اليد التى يمسك بها لإدارة شىء Monivelle .

الإقليم » . (يشير إلى كنك) ولن أتحركَ من مكانى (قرقعة من المحرك) إلا إذا دعوتنى دعوة صريحة أن ألحقه بحضرتك (قرقعة) . لقد كنتَ محظوظا إذ وقعتَ على رجل صمَّم ، ولن يعدلَ عن تصميمه .

عقيلة الدكتور : لقد آلى زوجى على نفسه أن يختتمَ حياته الطبية فى مدينة كبيرة .

الدكتور : إنشادُ آخرِ منظوماتى على مسرح مترامى الأطراف ! إنه الزهوُ ، أليس كذلك ؟ كنت أحلمُ بالاستقرار فى (باريس) فقنعتُ بليون .

عقيلة الدكتور : بدل أن يستمر هنا فى هدوء ليكوّن له ثروة !

يراقب (كنك) كلا منهما ، الواحد بعد الآخر ، ويفكر ، ثم يتأمل المناظر الطبيعية

الدكتور : لا تسخر كثيرا منى ، يا زميلى العزيز ! إن فضل حصولك على زبائنى بثمن بخس يرجع إلى هذا الولع .

كنك : أتظن ذلك ؟

الدكتور : لا مِراء فى هذا .

كنك : على أية حال ، أنا لم أساوم .

الدكتور : حقا . ولقد أعجبتنى منك صراحتُك ؛ وأعجبنى منك كذلك معالجتُك الموضوع بالمراسلة ، وعدمُ مجيئك إلا بعد تمام الصفقة . لقد خيل إلى أن هذا من البطولة ، بل «أمريكى» . بيْد أنى أستطيع أن أهنئك بهذه اللقطة السعيدة ، لأنها حقا لقطة سعيدة ؛ فالزبائن منتظمون ، ولا مفاجئات .

عقيلة الدكتور : وليس هناك من منافس .

الدكتور : وصيدلىٌّ لا يتعدى قط دائرة عمله .

عقيلة الدكتور : ولا ما يتطلب إنفاقا .

الدكتور : والملاهى أجرُها زهيد .

عقيلة الدكتور : وستستطيع فى ستة أشهر ادخار أضعافِ ماعايك لزوجى.

الدكتور : وسأمنحك أربعة آجال ، يَحِل كل منها كل ثلاثة أشهر لتقضى دينك . وربِّك ، لولا داءُ المفاصل (الروماتزم) الذى تشكو منه زوجى لما وافقتُ على الصفقة .

كنك : هل عقيلة الدكتور (پرپليه) مصابة بداء المفاصل .

عقيلة الدكتور : واحسرتاه !

الدكتور : الطقس، وإن كان صحيحا فى جملته ، إلا أنه لا يلائمها هى.

كنك : هل فى الإقليم كثير من المصابين بداء المفاصل ؟

الدكتور : وهل هناك غيرُ هؤلاء ؟

كنك : هذا يبدو لى من الأهمية بمكان .

الدكتور : أجل ، لمن يريد دراسة داءِ المفاصل .

كنك (بهدوء) : إنى لأفكر فى الزبائن أنفسهم .

الدكتور : آه ! إن كان هذا فلا . لأن المصابين بداء المفاصل من سكان هذا الإقليم لا يفكرون قط فى الذهاب إلى الطبيب ، كما لا تفكر أنت فى الذهاب إلى القَسّ تطلب منه أن يجعل السماء تمطر .

كنك : هذا . . . أمر مزعج .

عقيلة پرپليه : أنظر ، يا دكتور ! ما أبدع هـذا المنظر الساحر .
لكأننا فى (سويسرة) !

قرقعة أقوى مما سبقها

يوحنا (يسر الى الدكتور پرپليه) : سيدى ! سيدى ! هناك خلل فى المركب .
يجب أن أفك أنبوبة البنزين .

الدكتور ليوحنا : حسنا ! حسنا ! (لرفاقه) لقد كنت حقا أفكر فى أن
أعرض عليكم البقاء هنا قليلا .

عقيلة پرپليه : لمـاذا ؟

الدكتور (وهو ينظر اليهـا نظرات ذات معنى): ألا يستحق هذا المنظر البديع
أن نتأمله قليلا ؟

عقيلة پرپليه : إذا كنت ترى أن تستريح قليلا ، فستقابلنا بعد برهة
بقمة أبدع من هذه .

تقف السيارة . أدركت عقيلة (پرپليه) مراده .

الدكتور : يمكننا كذلك أن نقف قليلا هناك ، بل نقف مرتين
أو ثلاثا أو أربعا كلما شاقنا ذلك . ومن نعم الله أننا لسنا
عجلين . (لكنك) لاحظ ، يا زميلى العزيز ! كيف وقفت
السيارة برفق . وهكذا يظل السائق مسيطرا دائما على
سرعتها ؛ وهذا شىء لا بد منه فى إقليم جبلى (وهم ينزلون)
ستكون عما قليل من أنصار النقل الآلى (الميكانيكى) ،
وسيكون ذلك ، يا زميلى العزيز ! بأسرع مما تتصور .

ولكن حذارِ من بضاعة اليوم الرديئة . عليك بالفولاذ ، بالفولاذ ؛ إنى لأوصيك به ، فأرِنا فولاذك .

كنك : إذا لم نفِد من داء المفاصل ، فلعل فى داء الرئة وذات الجنب ما يعوّض ؟

الدكتور ليوحنا : انتهز فرصة استراحتنا هنا لتنظف أنبوبة البنزين. (لكنك) . أ كنت تحدثنى ، يا زميلى العزيز ! عن الالتهاب الرئوى وعن ذات الجنب ؟ إنهما نادران ، لأن الطقس — كما ترى — قارىّ ؛ فجميع ضعاف البنية من المواليد يموتون فى خلال الأشهر الستة الأولى من حياتهم ، من غير أن يكون للطبيب فى هذا يد ، عَلِمَ الله . أما من يعيشون منهم فيصبحون أشداءَ لا يلين لهم عود . على أن منهم المعرضون لداء السكتة القلبية أو للشلل . إنهم لا يشكّون لحظة فى أنهم مصابون ، حتى يَدهَمَهم المرضُ فى سن الخمسين .

كنك : ليس مصدرُ ثروتك إذن هو علاجُ الموتى بداء الفُجاءة ؟

الدكتور : بداهةً (يفكر) . وللبردِ أيضا . ولست أقصد البرد العادى التافه ، فإن هذا لا يقلق بالهم قط ، بل إنهم ليَبَشّون له ؛ لأنهم يدّعون أنه سبيلٌ لإخراج المادة الفاسدة من أجسامهم ، ولكنى أقصد أوبئةَ البرد العالمية الفتاكة .

كنك : ولكن أليس هذا بربك كبيض الأَنُوق . إذا كان ولا بد لكى أعيش من أن أنتظر حدوث الوباء العالمى القادم . . . !

الدكتور : أنا ، أنا الذى أحدثك ، قد شهدتُ وبائين ، أحدهما عامَ ١٨٨٩ — ١٨٩٠ والثانى عام ١٩١٨ .

عقيلة پرپليه : لقد حصد الموت عام ١٩١٨ الناسَ هنا حصدا ، أكثرَ نسبيا مما كان فى المدن الكبرى (لزوجها) أليس كذلك ؟ لقد وازنتَ بين الأرقام ؟

الدكتور : إن النسبة المئوية تدل على أن الإصابات عندنا تزيد عما كانت عليه فى ٨٣ مديرية .

كنك : وهل عولج هؤلاء المصابون ؟

الدكتور : نعم . ولا سيما فى آخر الأمر .

عقيلة پرپليه : ولقد كان دخلنا عظيما فى عيد (سان ميشيل) .

ينبطح يوحنا تحت السيارة

كنك : ما ذا تقولين ؟

عقيلة پرپليه : إن الزبائن هنا يدفعون ما عليهم فى عيد (سان ميشل) .

كنك : وما عيد (سان ميشل) هـذا ؟ هل معنى هذا أنهم لا يدفعون أبدا (فى المشمش) . أو هو عيد مقابل لعيد سان جلنجلان Saint - Glinglin

الدكتور ، (ينظر من آن لآخر بعؤق العين مايعمل السائق) : ما هذا الذى تقول يا زميلى العزيز ! إن (سان ميشل) هو أحد التواريخ الشهيرة فى التقويم ؛ وهو يقابل آخر شهر سبتمبر .

كنك (يغير نغمته) : ونحن الآن فى أوائل أكتوبر . بَخٍ ، بَخٍ !
لقد أحسنتما اختيار الوقت الذى تبيعان فيه (يخطو بضع خطوات وهو يفكر) . يا سبحانَ الله ! إذا جاء إنسان لاستشارتك استشارة ليست بذات بال ، ألاَ يدفعُ لك الأجرَ فى الجلسة ؟

الدكتور : لا ، بل يدفعه فى (سان ميشل) !... إنها السُّنةُ المتبعةُ .

كنك : ومتى يدفعُ إذا لم يحضر إلا لاستشارة واحدة العامَ كلَّه ؟

الدكتور : فى عيد (سان ميشل)

عقيلة پرپليه : فى عيد (سان ميشل) .

كنك ينظر إليهما . صمت .

عقيلة پرپليه : على أن الناس لا يرون الطبيب غالباً إلا لاستشارة واحدة .

كنك : ما هذا الذى أسمع ؟

عقيلة پرپليه : إنها الحقيقة .

يتظاهر الدكتور (پرپليه) بانشغال البال

كنك : إذن ما ذا تفعلون مع الزبائن الذين تعالجونهم بانتظام ؟

عقيلة پرپليه : أىّ زبائن يعالجون بانتظام ؟

كنك : هؤلاء الذين يعودهم الطبيب عدة مرات فى الأسبوع أو فى الشهر .

عقيلة پرپليه لزوجها : أسمعت ما قال الدكتور ؟ زبائنُ كزبائن الخباز والجزار ؟ إن الدكتور يفكر تفكير الحديثين فى احتراف المهنة ؛ إنه يبنى قصورا فى الهواء .

الدكتور (يضع يده على ذراع كنك) : صدقنى ، يا زميلى العزيز ! إن زبائنك هم خيرُ نَمُوذَج للزبائن ؛ لأنهم يتركونك وشأنكَ .

كنك : وشأنى ؟ ما هذا المزاح ؟

الدكتور : سأشرح معنى ما أقول : أقصد أن أمرك لا يتوقف على طائفة بعينها من الزبائن ، أهلٍ لأن تُشفى يوما ما ؛ فإذا ما فقدتَها اختل توازن ميزانيتك . أما إذا كان أمرك متوقفا على جميع الناس فمعناه أنه لا يتوقف على فرد بعينه . هذا ما أرمى إليه .

كنك : أو بعبارة أخرى ، كان على إذن أن أحمل معى شِصاً (صنارة) وبعض الطُّعم . على أن من المحتمل أن نجد هذا هناك (يخطو بضع خطوات ، يفكر ، يقترب من المركب ويتأمل فيه ، ثم يلتفت بعض الالتفات) . لقد وضَح الأمر لدى عينين . لقد خالفتَ لى ، يا زميلى العزيز ! لِقاءَ بضعةِ آلاف من الفرنكات لا أزال مدينا لك بها زبائنَ تشبه من جميع النواحى هذه (العربة) . (ينقر عليها ببشاشة) هذه (العربة) التى إن قُوِّمت بـ ١٩ فرنكا فلن تكون غالية الثمن ، ولكنها إن قومت بـ ٢٥ فرنكا كان ثمنها باهظا . (يتأمل فيها تأمل الهاوى) . ولكن ما دام من دَأْبى ألا أبخس الناس أشياءَهم فإننى أعرض عليك ثمناً لهـا ثلاثين فرنكا .

الدكتور : ثلاثين فرنكا ثمنا لسيارتى ! لن أتخلى عنها ولو بستة آلاف .

كنك (بهيئة الآسف) : لقد كنت أتوقع هذا (يعيد التأمل فى العربة) إذن فلن أستطيع شراء هذا المَرْكَب .

الدكتور : لَوْ مَا عرضتَ علينا عرضا ذا بال ؟

كنك : إنه لمؤسف حقا . لقد كنت أفكر فى أن أجعل منها صِوَانا (دولابا) أثريا . (يعيد النظر) . أما زبائنك فلولا أن السهم قد نفذ لعدلت عنهم من غير أن آسف عليهم .

الدكتور : دعنى أقُل لك ، يا زميلى العزيز ! إنك ضحيةُ شعور كاذب .

كنك : أنا ؟ بل إنى أعتقد بأنى ضحيتُك أنت . ولكن ليس من خُلُقى التأوُّهُ ، وإذا ما خدعت فلا ألومنّ إلا نفسى .

عقيلة پرپليه : خُدِعتَ ! احتجَّ ، يا صديقى ، احتج !

الدكتور : إننى أفضل أن أزيل ما علق بذهن الدكتور من اعتقاده الخديعة .

كنك : أما آجالُ دينك فآفتُها أنها تَحِل كل ثلاثة أشهر فى بقعة لا يؤدى الزّبون دينه فيها إلا كلّ عام مرة ؛ فمن العدل أن نمدّها . وعلى أى حال ، فلا يَشْغَلَنّ أمرى بالكما . إننى أكره الدَّيْن ، ولكنه بالاختصار أقل ألما مثلا من ألم القَطَن (lumbago) أو من دُمّل فى المَقْعَدَة .

عقيلة پر پليه : ماذا تعنى ؟ أَعوَّلتَ على ألا تدفع لنا ديننا فى المواعيد المقررة ؟

كنك : إنى لأتحرَّق شوقا ، يا سيدتى ! لِأَن أقضى دينى ، ولكن لا سلطة لى على التقويم السنوى ؛ وليس فى استطاعتى أن أغير مواعيد (سان جِلْنجْلان) .

عقيلة پر پليه : سان ميشل .

كنك : سان ميشل .

الدكتور : أو ليس عندكَ من مال مُدَّخر ؟

كنك : لا ، إنى أعيش من عملى ؛ أو إن شئت فإنى أتعجل اللحظة التى أعيش فيها منه ، وإنى لأرثى لطبع زبائنك الأُسطورى الذين تبيعُهم لى .. حتى لأُفكرُ فى ان أطبِّق عليهم وسائل غاية فى الجِدَّة . (بعد تفكير وكأنما يحدث نفسه) حقا ، إن الوضع لم يتغير منه إلا مظهره .

الدكتور : يا زميلى العزيز ! إن خطأك فى هذه الحال يكون ضِعْفين لو أنك استسلمت إلى يأس سابق لأوانه ، يأس مَرَدُّه عدم خبرتك . حقا إن الطب أرضٌ غايةٌ فى الخصوبة ، ولكن الزرعَ لا يأتى فيها أُكُلَهُ وحده . إن أحلام الشباب قد أضرت بك كثيرا .

كنك : إن عباراتِك ، يا زميلى العزيز ! ملأى بالأغلاط ؛ فأنا فى سن الأربعين ؛ وأحلامى ، إن كانت لدى أحلام ،

ليست أحلام شباب .

الدكتور : ليكنْ ذلك . ولكنك لم تمارس مهنة الطب قط .

كنك : هذا وهم آخر .

الدكتور : كيف هذا ؟ ألم تقل لى إن رسالتك نوقشت فى العام الماضى فقط ؟

كنك : بلى . ثلاثون صفحة من القَطْع الكبير عن : « ما يسمونه الحالة الصحية » أيدت فيها تلك القَوْلة التى نسبتها إلى (كلود برنار) : « صحاحُ الأجسام ليسوا إلا مرضى يجهلون حقيقة أنفسهم » .

الدكتور : اتفقنا ، يا زميلى العزيز !

كنك : علام؟ أعلى صحة موضوع رسالتى ؟

الدكتور : لا ، بل على أنك مبتدئ .

كنك : عفوا ! إن دراستى حقا كلُّها حديثةُ العهد ؛ ولكن ممارستى لمهنة الطب ترجع بى إلى عشرين سنة خلت .

الدكتور : ماذا ؟ هل كنتَ حلاق صحة من ذلك العهد الذى لم يبق منه الآن أحد؟

كنك : لا . كنت حاصلا على الليسانس .

عقيلة پربليه : لم يُعرف قط نظام الليسانس فى الصحة .

كنك : كنت حاصلا على الليسانس فى الآداب ، ياسيدتى !

الدكتور : وهل مارست المهنة إذن خِفْية ، وبدون لقب ؟

كنك : لا ، يا سيدى ! بل على أعين الناس ؛ وليس فى جحر فى الأقاليم ، بل على مسافة طولها نحو من سبعة آلاف كيلو مترا .

الدكتور : لا أفهم معنى ما تقول .

كنك : ومع ذلك فالأمر هين . منذ عشرين سنة ، لما عدلت عن دراسة اللغات الرومانية ، اشتغلت بائعاً فى محل « Dames de France » فى (مرسيليا) فى قسم أربطة الرقبة (الكرفتات) ، ثم لم ألبث أن فقدت وظيفتى . وبينما أنا أروح عن النفس ذات يوم بالتمشى على شاطىء البحر الأبيض المتوسط رأيت إعلاناً بأن باخرة حمولتها ١٧٠٠ طن سترحل إلى الهند ، وأنها فى حاجة إلى طبيب ، ولا تشترط فيه أن يكون حاصلا على لقب طبيب . ماذا كنت تعمل فى مثل هذه الحالة ؟

الدكتور : لا شىء ... بدون شك .

كنك : نعم . أنت لست موهوبا . أما أنا فقد عرضت نفسى عليهم . ولما كنت أمقت المظهر الكاذب فقد أعلنت حين دخلت : « أيها الناس ! إن فى استطاعتى أن أقول لكم بأنى طبيب ، ولكنى لست بطبيب . بل إنى لأصارحكم بشىء أخطر من هذا ، وهو أنى لم أعرف بعد ما هو البحث الذى سيكون موضوع رسالتى » . فقالوا بأنهم

لا يَعنيهم قط أن أكون طبيبا ، ولا يأبهون أصلا لموضوع رسالتي . فتابعت كلامي قائلا : « أنا وإن لم أكن طبيبا ، إلا أنني حريص ، حفظا على كرامتي وعلى النظام، أن أنادَى على الباخرة بيادكتور » فقالوا بأن هذا طبيعي . ولكن هذا لم يمنعني من أن أستمر ربع ساعة كاملة أشرح لهم الدوافعَ التي حملتني على أن أطلب منهم تلقيبي بهذا اللقب ، وإن كنت أشعر في قرارة نفسي بألا حق لي فيه . وطال بنا الحديث حتى لم يبق من الوقت إلا ثلاثُ دقائق اتفقنا فيها على الأجر .

الدكتور : ولكن أما كانت لديك قط أيةُ معرفة بالطب ؟

كنك : سأشرح لك الموضوع . لقد كنت دائما أقرأ في شغف منذ نُعومة أظفاري الإعلاناتِ الطبيةَ والصيدلية التي تنشر في الصحف ، وكذلك النّشرات التي يكتب فيها « طريقة الاستعمال » التي كنت أجدها ملفوفةً حول عُلب الحبوب وزجاجات الدواء السائل التي كان أهلي يشترونها . كنت منذ سن التاسعة أحفظ عن ظهرِ قلبٍ سُوَراً بأكملها عن التخلص من انقباض البطن (الإمساك) . بل إني لأستطيع أن أتلوَ عليك خطابا بديعا أرسلته في عام ١٨٩٧ الأيم... P من Bourges إلى مصنع المَفْلِيّات النباتية Shakers الأمريكية . هل لك في أن تسمعه ؟

الدكتور : شكرا، يا سيدي ! أنت صادق فيما تقول .

كنك : جعلتنى هذه المتون آلَفُ منذ مستهل حياتى لغة المهنة وجعلتنى كذلك أتبين الروحَ الحقيق والغايةَ الحقيقية للطب ، تلك الغايةَ التى يحجبها التعليم الجامعى خلف الحشو العلمى . وأستطيع أن أقول لك إنه كان لدى فى سن الثانيةَ عشرةَ شعور طبى حق ، منه خرجتْ طريقتى الحالية .

الدكتور : وهل لك طريقةٌ خاصة ؟ ما أشوقنى لمعرفتها !

كنك : أنا لا أعرف الدعاية ؛ والعبرة بالنتائج . لقد اعترفتَ بأنك تخلِّف لى اليوم زبائن هم والعدمُ سواء .

الدكتور : العدم ... ! عفوا ... عفوا ... !

كنك : عد إلى فى العام القادم ، وسترى ماذا أكون قد فعلتُ ، وستكون الحجةُ قاطعةً . وإذا كنتَ قد ألجأتنى إلى أن أبدأ من الصفر ، فإنك تَزيد فى قيمة الاختبار .

يوحنا : سيدى ! سيدى ! (يذهب إليه الدكتور پرپليه) أظن من المستحسن أن أُفك كذلك المُبَخِّر .

الدكتور : ليكن ، هيا (يعود) . ما دام حديثنا سيطول فقد قلت لهذا الغلام أن ينظف المبخِّر كما يفعل كل شهر .

عقيلة پرپليه : ولكن كيف استطعتَ أن تدبر أمرك ، وأنت على ظهر الباخرة ؟

كنك : لقد قضيتُ الليلتين الأخيرتين قبل أن تبحر الباخرة فى التفكير ، وقد أعانتنى الأشهر الستة التى مارست فيها

الطب على ظهر الباخرة على تحقيق كثير من آرائى .
وهكذا يكاد يكون العمل فى المستشفيات .

عقيلة برپليه : وهل كان على ظهر الباخرة أناس وُلِّيت أمر العناية بهم ؟

كنك : البحارة ، وسبعةٌ من رقاق الحال من المسافرين .
فكانت عدتهم جميعا خمسةً وثلاثين شخصا .

عقيلة برپليه : هذا عدد لا بأس به .

الدكتور : وهل مات منهم أحد ؟

كنك : لا . ولست من أنصار الإماتة . أنا ممن يرون الإقلالَ من عدد الموتى .

الدكتور : شأننا جميعا .

كنك : أمن هذا الرأى كذلك أنت ؟ عجبا ! ما كنت أظن هذا . وبالجملة أرى أنه وإن كانت لدينا جميع المغريات الدافعة إلى جعل المريض يسير نحو الموت إلا أن الواجب يقضى علينا بإنقاذه منه .

عقيلة برپليه : إن ما يقول الدكتورُ حقٌّ .

الدكتور : وهل مرض كثير ممن عُنيت بأمرهم ؟

كنك : خمسةٌ وثلاثون .

الدكتور : إذن جميعُ الركاب .

كنك : نعم ، جميعُ الركاب .

عقيلة بر پليه : وكيف استطاعت الباخرة أن تسير ؟

كنك : بتنظيم الدور بين النُّوتِيَّة .

(صمت)

الدكتور : خبرني بربك . . . أأنت حقيقةً طبيب الآن ؟ . . . لأن اللقب هنا لا غناءَ عنه ، فإذا لم تكن كذلك سببتَ لنا كثيراً من المتاعب . . . وخير لك إذن أن تُفْضِىَ إلينا بحقيقة أمرك منذ الآن .

كنك : أنا حقيقةً طبيب ، ما فى ذلك شك . لما رأيتُ أن التجربة أيدت طُرق فى العلاج كنت شديدَ اللهفة على أن أستعملها على ظهر اليابسة بصورة أوسع ... وأنا لا أجهل أن لقب « طبيب » لا بد منه لممارسة الطب .

عقيلة بر پليه : ولكنك حدثتنا بأن دراستك كانت حديثة العهد .

كنك : لم أستطع أن أشرع فيها منذ ذلك العهد ؛ فلقد شغلت نفسى ، لكى أحصل على قوتى ، بالتجارة فى الفول السودانى ؟ .

عقيلة بر پليه (تبدى حركة) : الفول السودانى ؟

كنك : ويحكِ ، يا سيدتى ! ما كنت يوما ما تاجراً بسَلَّة ، بل أسست مكتبا مركزيا يمون تجار الجملة ، ولو استمرت تجارتى هذه عشرَ سنوات لأصبحت من أصحاب الملايين ، ولكنه عمل ممل . ومع ذلك فإن جميع الحرف تجلب الملل متى طالت ممارسة المرء لها . لقد أدركت هذا بنفسى .

وليس هناك من مهنة حقّة إلا الطب . وقد تكون كذلك السياسة والمالية والرهبنة ، ولكنى لم أجربها بعد .

عقيلة پرپليه : وهل صح عزمك على تطبيق طرقك هنا ؟

كنك : لو لم أعزم على هذا ، يا سيدتى ! لسابقت قدماى الريح هرباً ، حتى ليستحيل عليك اللحاق بى . حقاً ، إننى كنت أفضّل تطبيقها فى مدينة عظيمة ، ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه .

عقيلة پرپليه (لزوجها) : ألا تستطيع — وقد عزمت على الإقامة بمدينة ليون — أن تطلب من الدكتور (كنك) أن يطلعك على شىء من طرقه ؟ وماذا يضيرك فى هذا ؟

الدكتور : يخيل إلى أن الدكتور (كنك) حريص على ألا يذيعها

كنك (للطبيب پرپليه بعد قليل من التفكير) : يمكن ، حفظاً منى على مودتك ، أن أعرض عليك الحل الآتى : بدل أن أقضى لك دينك بالنقد — ويعلم الله متى سيكون ذلك — أقضيه لك عملا أؤديه ، أى : آذن لك بالعمل معى ثمانية أيام أنشئك فيها على طرقى .

الدكتور (بغيظ) : إنك لتمزح ، يا زميلى العزيز ! بل أنت الذى ستكتب إلى بعد أسبوع لتستشيرنى .

كنك : لن أنتظر انقضاء سبعة أيام ؛ ففى عزمى أن أسألك اليوم عن إرشادات أراها غاية فى النفع .

الدكتور : أنا رهنُ إشارتك ، يا زميلي العزيز .

كنك : أفي البلد الذي نذهب إليه منادٍ ؟

الدكتور : أتقصد طبالا يعلن الناسَ بطبله عما يراد إعلانُه ؟

كنك : أجل .

الدكتور : نعم به طبال إعلانات يعهد إليه البلدُ أحيانا بما يراد إعلانه إلى الناس . أما الأهالي فلا يلجأ إليه منهم إلا من أراد الإعلان عن فقد حافظة نقوده . وقد يلجأ إليه بعض التجار الجائلين للاعلان عما تبقى لديهم من خزف أوصيني...

كنك : حسنا . ما عدد سكان (سان موريس) ؟

الدكتور : في البلد نفسه ثلاثةُ آلافٍ وخمسمائة نسمة فيما أظن ، وفي المقاطعة كلِّها ستةُ آلاف .

كنك : وما عدد سكان الإقليم ؟

الدكتور : ضِعْفا ذلك ، على الأقل .

كنك : هل الشعب فقير ؟

عقيلة كنك : على العكس ، إنه في بحبوحة من العيش ، بل إنه ثَرِىّ . هناك ضياع واسعة ؛ وكثير من الناس يعيشون من معاشهم أو من إيرادِ أرضهم .

الدكتور : ولكنهم مقتّرون جداً .

كنك : وهل بالاقليم مصانع ؟

الدكتور : قليلة جداً .

كنك : وما حال التجارة ؟

عقيلة پرپليه : أما الحوانيت فلا حصر لها .

كنك : وهل تستغرقُ التجارةُ جميع أوقات التجار ؟

الدكتور : أكاد أقول لا ؛ لأن عمل التجارة عند كثير منهم ليس إلا موردا مكملا لدخله ، بل ربما كان لشَغْل وقت الفراغ .

عقيلة پرپليه : ومع ذلك ، فبينما نرى الزوجة تعمل فى الحانوت نرى زوجها يخرج ليُرَفِّه عن نفسه .

الدكتور : أو العكس .

عقيلة پرپليه : يجب أن تعترف بأن الزوج هو الذى يخرُج ليلهوَ ، حتى إن النساء لوخرجْن لا يَعرفْن إلى أين يذهبن . أما الرجالُ فأمامهم صيدُ الأسماك والقَنْص والرمايةُ ؛ وفى الشتاء لهم المقاهى .

كنك : وهل النساء تقيات ؟ (يستغرق الدكتور پرپليه فى الضحك) إن لسؤالى أهميةً عظيمة .

عقيلة پرپليه : كثيرات منهن يذهبن إلى الكنيسة .

كنك : ولكن هل يُشْغَلْن بالتفكير كثيرا فى خالقهن ؟

عقيلة پرپليه : ياله من سؤال !

كنك : حسنا ! (يفكر) وهل هناك من نقائص (رذائل) ؟

الدكتور : ماذا تعنى ؟

كنك : أفيون ، كوكايين ، زار ، لواط ، عقائد سياسية . . .

الدكتور : إنك تخلط بين أشياءَ لا ارتباط بينها . أنا ما سمعت قط عن الأفيون ، ولا عن الزار ، أما السياسةُ فأمرها بينهم أمرُها فى كل مكان .

كنك : نعم . ولكن هل فيهم من يَعْنُف على أبيه وأمه فى سبيل التصويت للانتخاب أو ضريبة الدخل ؟

الدكتور : معاذ الله ! لم يصل بهم الحال إلى هذا .

كنك : والخيانة الزوجية ؟

الدكتور : ماذا تريد منها ؟

كنك : هل هى منتشرة انتشاراً يجاوز الحد ؛ وهل يَشغلُ الناس أنفسهم بها كثيرا ؟

الدكتور : إن أسئلتك غايةٌ فى الغرابة . من الجائز أن يكونَ هناك أزواج خانتهم زوجاتهم ، كما فى كل مكان ، ولكن عددَهم ليس فيه إفراط .

عقيلة پرپليه : على أن ارتكابَ مثل هذا الأمر من الصعوبة بمكان ؛ لأن الناس يَعُدُّون عليك حركاتِك وسكناتِك ...

كنك : حسناً . أليس هناك ما يستحق أن تذكرا لى ؟ هل هناك مثلا فرقٌ مذهبية أو تطَيرٌ أو جماعات سرية ...

عقيلة پرپليه : كثيرات من هؤلاء النسوة كن يَشغلن أنفسَهن فى وقت ما بالاتصال بالأرواح .

كنك : آه ! آه !

عقيلة بريليه : فكن يجتمعن عند زوجة الموثّق ، ويدعنَ المنضدةَ المستديرة تتكلم .

كنك : هذا شائن ، هذا بَغيض .

عقيلة بريليه : أظن أنهن كففْن عن هذا الآن .

كنك : آه ! حسنا فعلْن . أليس هناك من سحرة ، أو من ذوى المعجزات ، أو مَنْ يدعى من الرعاة المسنين الذين تفوح منهم رائحةُ الأغنام بأن اللمس بالأيدى يشفى المريض ؟

يرى (يوحنا) الفينة بعد الفينة يدير الذراع المحركة حتى يلهث ، ثم يمسح عرق جبينه .

الدكتور : ربما كان هذا قديما ، أما اليومَ فلا .

كنك (يظهر فى هيئة المضطرب ، يحك راحتيه احداهما بالأخرى وهو يمشى) بالاختصار عصرُ الطب يمكن أن يبدأ (يقترب من السيارة) هل من القسوة ، يا زميلى العزيز ! أن يُطلبَ من هذا المركَب أن يُجهدَ نفسه قليلا ؟ لَشدَّ ما أتلهفُ على أن أكون الآن فى (سان موريس) .

عقيلة بريليه : إن الأمرَ لَيحْزُبُك فجأة !

كنك : أرجوكما · فلنعجّلْ بالوصول إلى هناك .

الدكتور : ما هذا الأمر القاهِر الذى يجذبُك إلى هناك ؟

كنك (يغدو ويروح مرات وهو صامت ، ثم) : أُحِسّ ، يا زميلى العزيز ! بأنك قد فوتّ على نفسك هناك فرصةً من الذهب ؛

واذا استعملت لغتك قلت : إنك جعلت الشـوك ينبت ويترعرع حيث كانت تنبت حديقة فيحاء تؤتى أكلها كل حين . كان يجب أن تغادر هذا المكان وقد أثقلكما الذهب ، وتربعتما على حشية من السندات المالية ، وقد طوقت السيدة جيدها بعقد من الجواهر ذى ثلاث لفات : تغادرانه فى سيارة فخمة مقفلة (يشير الى العربة) لا فى هـذا الأثر الذى شهد أول مجهود بذلته العبقرية الحديثة يوم فكر فى صناعة السيارات .

عقيلة پرپليه : ما هذا المزاح ، يا دكتور !

كنك : ليس الموقف موقف مزاح ، يا سيدتى ! بل هى الحقيقة .

عقيلة پرپليه : إذن فالأمر مزعج . أسمعت ؟ يا ألبير ؟

الدكتور : أفهم من ذلك أن الدكتور (كنك) رجل خيالى ، وأنه فوق ذلك عرضة للخطرفة . إنه لعبـة تحركها تأثيرات بالغة ؛ فالوظيفة أحيانا لا تساوى عنده فلسين ؛ أما الآن فهى كنز من الذهب .

(يهز كتفيه)

عقيلة پرپليه : إن شأنك كشأنه ؛ فأنت تثق فى نفسك كل الثقة . ألم أقل لك مراراً إنه كان من الميسور مع قليل من اللباقة أن تجعلنا نعيش فى (سان موريس) حياة خيرا من الضنك الذى نحن فيه !

الدكتور : حسناً ، حسناً ، حسناً ! سأعود بعد ثلاثة أشهر عند حلول

القسط الأول ، وسنرى ماوصل إليه فن الدكتور (كنك) :

كنك : هو ذاك . عودا بعد ثلاثة أشهر ، وسيكون لدينا متسع من الوقت للحديث . ولكنى أستجير بكما الآن أن نستأنف رحلتنا فى التو .

الدكتور (ليوحنا فى خجل) : أمستعدٌ أنت للرحيل ؟

يوحنا (بصوت منخفض) : آه ! أنا ، سأكون مستعدا حالا . ولكن أظن أنه ليس فى استطاعتنا وحدنا أن نجعل السيارة تأخذ فى الحركة .

الطبيب (بصوت منخفض كذلك) : كيف هذا ؟

يوحنا (هازا رأسه) : يلزمنا رجال أشداء .

الدكتور : وما ذا لو حاولنا دفعها ؟

يوحنا (فى غير اقتناع) : ربما سارت !

الدكتور : هو هذا . . . أمامنا عشرون مترا فى السهل ؛ سأتولى القيادة ، وأنت تدفع بالسيارة .

يوحنا : ليكن ذلك .

الدكتور : ثم تحاول القفز على الرفرف فى حينه . أليس كذلك ؟ (يعود الدكتور نحو رفاقه) إذن ، فإلى السيارة يا زميلى العزيز ! إلى السيارة ! وسأقودها أنا ، أما (يوحنا) هذا العملاق ، فيرغب فى أن يتسلى بأن يجعلنا نتحرك دون أن نستعين بالذراع المحركة ؛ نتحرك بنوع من الإقلاع

الذى يمكن أن نسميه آلياً.. وإن كانت القوّةُ الكَهْربية فيه قد استُبدلت بها المضلاتُ التى تكاد تكون من نوعهـــا .

يستند يوحنا الى صندوق السيارة

ســـتارة

الفصل الثانى

فى مسكن پرپليه القديم

أثاث (كنك) المؤقت هو : منضدة وكراس ، وصوان ـ مكتبة ، وكرسى طويل وسبورة ، وحوض للغسيل ، وبعض صور التشريح والأنسجة معلقة فى الحائط .

المنظر الأول

كنك ومنادى القرية

كنك (جالس ينظر إلى الغرفة ويكتب) : أأنت منادى المدينة ؟

المنادى : نعم . يا سيدى !

كنك : قل لى : « يا دكتور ! » ، أجبنى : « نعم ، أو لا يا دكتور ! » .

المنادى : سمعاً وطاعة ، يا دكتور !

كنك : وإذا ما أتيحت لك الفرصةُ أن تتكلم عنى فى غيبتى فلا يَفُتْكَ قطُّ أن تعبرَ عن مرادك هكذا : « قال الدكتور كذا ، فعل الدكتور كذا » لأن هذا يهمنى . بأيةِ عباراتٍ كنتم تتكلمون عن الدكتور (پرپايه) حينما كنتم تتكلمون؟

المنادى : كنا نقول : إنه رجل طيب ، ولكنه ليس بماهر .

كنك : أنا لا أعنى هذا . هل كنتم تقولون : « الدكتور » ؟

المنادى : لا . كنا نقول : مسيو پرپايه أو الطبيب ، أو رَڤاشُل Ravachol

كنك : لماذا رَڤاشُل ؟

المنادى : إنه كان يلقب هكذا ، ولكنى لا أعرفُ لماذا .

كنك : وهل كنتم ترون فيه أنه ليس بماهر ؟

المنادى : آه ! أما أنا فكنت أرى فيه بعضَ المهارة ، ولكن غيرى من الناس كانوا يرَوْن أنه دون ذلك .

كنك : عجباً !

المنادى : حينما كنتَ تذهب لاستشارته لم يكن يقف على ...

كنك : يقفُ على ماذا ؟

المنادى : يقفُ على ما بك . وتسمةُ أعشار المرات التى تذهبُ إليه فيها كان يقول لك : « الأمر جِدُّ تافه . غدا ستسترد صحتَك يا صديقى » .

كنك : اللهَ ! اللهَ !

المنادى : أو كان لا يكاد يُصغى إليك ، ويجيبُك : « نعم ، نعم » « نعم ، نعم » ؛ ثم يسرع فى تغيير مجرى الحديث ؛ فيحدثُك مثلا ساعةً كاملة عن سيارته .

كنك : كما لو كنتَ قد جئتَ لهذا الأمر !

المنادى : ثم يصف لك دواءً بدراهم معدودة ، وأحياناً مَغْلِىَّ النبات . أنت تعرف — ولاشك — أن من يدفع ٨ فرنكات أجراً لاستشارة الطبيب ، لا يرغبُ فى أن يصف له هذا دواء بدراهم معدودة ؛ وليس المرء ، مهما قلّت درجته فى الإنسانية ، فى حاجة إلى طبيب يصف له شراب الأُقحُوان (البابونج)

كنك : إن ما تُخبرنى به يَحِزُّ فى نفسى . ولكنى استدعيتك

للاستعلام منك عن أمر . ما الأجرُ الذى كنت تطلبُه من الدكتور (پرپايه) حينما كان يكلفك بإعلان الناس بشىء ؟ .

المنادى (بمرارة) : إنه لم يكلّفنى قط بإعلان .

كنك : ويحك ! ما هذا الذى تقول ؟ ألم يطلبْ منك إعلاناً فى الثلاثين عاماً التى قضاها هنا ؟

المنادى : ليس من إعلان واحد فى الثلاثين عاماً ؛ أقسم لك .

كنك (يقف وبيده ورقة) : لعلك نسيتَ ؛ أنا لا أكادُ أصدقُك ؛ وعلى كل ، فما الأجرُ الذى تطلب ؟

المنادى : ثلاثةَ فرنكات للدورة الصغرى ، وخمسةً للدورة الكبرى . ربما كان هذا الأجر مرتفعاً ، ولكن المسألة تحتاج إلى جهد عظيم . على أنى أنصح سيدى ...

كنك : الدكتور .

المنادى : أنصح الدكتور ، إذا كان الفرنكان لا يفقرانه أن يكلفنى بالدورة الكبرى ، فإنها أجدى وأنفع .

كنك : ما الفرق بينهما ؟

المنادى : إنى أقف فى الدورة الصغرى خمسَ مرات : أمام مقر العمدة ، وأمام مكتب البريد ، وأمام فُنْدُق المفتاح ، وفى مفترَق طرق اللصوص ، وعلى جانب السوق . أما فى الدورة الكبرى فإنى أقف إحدى عشرة مرة ، أعنى ...

كنك : حسناً . سأدفع أجر الدورة الكبرى . أتستطيع القيام بهذا هذا الصباح ؟

المنادى : الآن ، إذا أردت . . .

كنك : هاكَ نصَّ الإعلان

ينـاوله الورقة

المنادى (ينظـر فى النـص) : أنا على علم بقراءة الخطوط ، ولكنى أفضلُ أن تقرأها لى مرة .

كنك (بتؤدة ، والمنادى ينصت إليه باذن معتادة) : « الدكتور (كنك) ، خليفةُ الدكتور (برپليه) ، يحيى سكان المدينة وأهلَ إقليم (سانْ مُورِيس) ، ويشرفه أن يخبرهم بأنه ، حباً منه فى الخير ، ورغبةً فى القضاء على انتشار الأمراض المتنوعة التى تغزو بطريقة فتّاكة منذ بضعةِ أعوام إقليمَنا الذى كان من قبل خالياً منها . . . »

المنادى : أما هذا لحق ؟

كنك : « . . . سيجعل استشارته صباح يوم الاثنين من كل أسبوع من الساعة الحاديةَ عشرةَ والنصفِ بالمجان لسكان الإقليم . أما الوافدون عليه فيدفعون الأجر المقرر ، وهو ثمانية فرنكات . . .)

المنادى (يأخذ الورقه باحترام) : أما هذه فما أجملها من فكرة ! إنها فكرةٌ ستنال كلَّ تقديرا، فكرة من محسن (يغير نغمته)

ولكن ألا تعلمُ أن اليوم يوم الاثنين ، وإذا أنا أعلنتُ الناس بهذا صباح اليوم ، لتسابقوا فى المجىء إليك بعد خمس دقائق .

كنك : أبهذه السرعة ؟ أتظن هذا ؟

المنادى : ثم لعلك لم تفكر أن يوم الاثنين هو يومُ السوق ، فنصفُ سكان الإقليم هنا . وسيصل إعلانى إلى آذان هؤلاء الناس ؛ ولن تجد لديك دقيقة للراحة من كثرة العمل .

كنك : سأحاول ما استطعت أن أدبر أمرى .

المنادى : لا تنس كذلك أن يوم السوق هو اليومُ الذى يحتمل أن يأتى فيه كثير من المرضى لاستشارتك . ولقد كان مسيو (بربليه) لا يراهم إلا فى هذا اليوم (بدون كلفة) فإذا أنت فحصتهم بالمجان . . .

كنك : إنك ، لاشك ، ياصديقى ! تدركُ أن ما أرمى إليه أولا هو أن يُعنى الناس بعلاج أنفسهم . ولو كنت أسعى وراء المادة لأقمت فى (باريس) أو فى (نيويورك) .

المنادى : آه ! لقد أدركتَ موضع العلة ؛ إن الناس لا يعالجون أنفسهم بما فيه الكفاية . فهم لا يطاوعون أنفسهم ، بل يقسُون عليها ، فإذا ما أصيب أحدهم استخف بدائه ؛ أوَما كان أجدى أن نُخلق حيوانات عجماء . . . !

كنك : أرى أنك صائبُ الفكر ، يا صديقى !

المنادى (منتفخ الأوداج) : آه! حقاً ، إننى صائبُ الفكر . لم أتعلم ما كان يجب أن أتعلمه ، ولكن من المتعلمين مَنْ لا يبلغون شأوى ، ويعرف حضرة العمدة عنى الكثير . ولو أخبرتك ، يا سيدى ! . . .

كنك : يا دكتور !

المنادى (كالسكران) : يادكتور ! أن حضرة المحافظ نفسه كان موجوداً ذات يوم في مقر العمدة فى بَهْو الزواج الكبير — وتستطيعُ أن تسأل عن صحة هذا الخبر أعيانَ الإقليم الذين كانوا حاضرين ، كنائب العمدة الأول وكالمسيو ميشالون Michalon — وأنّه . . .

كنك : وأن حضرة المدير أدرك منذ اللحظة الأولى من أنت ، وأن منادى المدينة كان أكثرَ إدراكا للأمور من كثير ممن ليسوا بمنادين ، ولكنهم كانوا يعتقدون فى قرارة أنفسهم أنهم أذكى من مناد . أما من أُفْحِم ؟ فهو العمدة نفسه .

المنادى (بذهول) : إنها الحقيقةُ بعينها ! لم تغير منها كلمة واحدة . لَكأنك كنت هناك مختفياً فى أحد الأركان .

كنك : لم أكن هناك ، يا صديقى !

المنادى : إذن ، فهل قص القصةَ عليك راوٍ ، راو من عِلْيةِ القوم ؟ . (يبدى كنك إشارة تحفظ دبلوماسية) . أكبر الظن

أنك تحدثت فى هذا قريباً مع المعدة . (يكتفى كنك بابتسامة)

كنك (يقف) : إذن ، فسأعتمد عليك ؛ فابذل ما فى وسعك .

المنادى (بعد تردد شديد) : لن أستطيع المودة إليك بعد قليل ، فاذا ما عدت كان ذلك فى وقت متأخر . ألا تستطيعُ أن تحسن صنعا بى فتكشفَ على الآن ؟

كنك : . . . بلى . لكن لنسرعْ فاننى على موعد مع برنار Bernard المعلم الإلزامى، ومع الصيدلى موسكيه Mousquet . ويجب أن أستقبلهم قبل أن يَفِدَ الناس . ماذا بك ؟

المنادى : دعنى أفكر ! (يضحك) هاك ما بى . حينما أتمشى أشعر أحيانا بتأكّل هنا (يشير الى أعلى المعدة) . هذا المكان يدَغْدِغُنى (يزغزغنى) ، بل إنه يُحِكُّنى

كنك (بهيئة الغارق فى التفكير) : ممن . لا تخلط بين الأمرين ، هل هو يدغدغك أو يُحِكُّك ؟

المنادى : إنه يُحِكُّنى (يفكر) ، ولكنه أيضاً يُدغدغنى بعض الدغْدَغة .

كنك : أشرْ إلى المكان إشارة سديدة .

المنادى : من هنا .

كنك : من هنا . . . أين هذا ، أَمِن هنا ؟

المنادى : هنا أو ربما هنا . . . بين الاثنين .

كنك : أهو بين الاثنين نصًّا (تماما) ألا يكون إلى اليسار

قليلا حيث أضع إصبعى ؟

المنادى : يخيل إلى أنه هناك .

كنك : أيؤلمك حين أضغط بأصبعى ؟

المنادى : نعم . كأنما يؤلمنى .

كنك : أه ! أه ! (يفكر بهيئة مقبضة) ألا تزداد الحكة حين تأكل رأس الفجل فى قليل من الخل ؟

المنادى : أنا لا أطعمه قط ، ولكن يخيل إلى أننى لو أكلت حقيقة منه فستزداد الحكة أكثر من الآن .

كنك : أه ! أه ! هذا أمر غاية فى الأهمية . كم عمرك ؟

المنادى : إحدى وخمسون سنة . وأنا الآن فى الثانية والخمسين .

كنك : هل تقترب من الحادية والخمسين أم من الثانية والخمسين ؟

المنادى (يضطرب شيئاً فشيئاً) : أقترب من الثانية والخمسين ، وسأبلغها فى آخر نوفمبر .

كنك (واضعايده على كتف المنادى) : أدّ عملك اليوم ، ياصديقى ! كالعادة . وفى المساء نم مبكرا . الزم الفراش ، وسأمر بك لأراك . وسيكون علاجى إياك بالمجان ؛ لكن لا تقل لأحد ، لأنها مجاملة لك .

المنادى (بقلق) : ما أطيبك يا سيدى الطبيب ! ولكن هل ما بى إذن خطر ؟

كنك : لعله لم يصل بعدُ درجة الخطورة . وإن الوقتَ كان قد حان لتعالجَ نفسك . هل تدخن الطّبّاق ؟

المنادى (يخرج منديله ويمسح عرقه) : لا ، بل أمضغ التبغ .

كنك : لا تمضغ التبغ قط . هل تشرب الخمر ؟

المنادى : لا أشرب منه إلا القليل .

كنك : لا تشربْ منه قطرة . أمتزوج أنت ؟

المنادى : نعم . يا دكتور ! .

كنك : لا تقربْ زوجك قط . أفهمت ؟

المنادى : هل لى أنْ آكل ؟

كنك : اشربْ قليلا من الحساء (المرق) لأنك ستؤدى عملَك اليوم . أما غدا فسننظرُ فى أمر تضييق دائرةِ مأكولاتك . ولكن ما عليك الآن إلا أن تتبع ما أمرتك به .

المنادى (يعود فيمسح عرقه) : ألا ترى من الخير أن ألزَمَ السرير منذ اللحظة ؟ إنى لأشعر حقيقة ببعض التعب .

كنك (فاتحا الباب) : حذار أن تفعل ذلك . إن من الشر فى مثل حالك أنْ يلزمَ الإنسانُ السرير ما بين طلوع الشمس وغروبها . بلغ إعلاناتِك اليومَ كما لو لم يحدثْ شيء ، وانتظرْ فى هدوء حتى المساء .

يخرج المنادى ، ويصحبه كنك

المنظر الثانى

كنك والمعلم الإلزامى برنار

كنك : عم صباحاً ، يا سيد برنار ! ألم أصرفك عن أمورك بدعوتك لمقابلتى فى هذه الساعة ؟ .

برنار : لا ، لا ، يا دكتور ! لدى بعض الوقت . وإن مساعدى ليراقب فترة الفُواق (الفسحة)

كنك : كنت على أحر من الجمر لألتقى بك ؛ فلدينا كثير من الأمور التى سنؤديها معاً ، وإنها الجِـد عاجلة . ولستُ أنا الذى يصرف النظر عن التعاون القيم الذى كنت تتفضل به على سلفى .

برنار : التعاون ؟

كنك : لستُ ذلك الرجلَ الذى يفرضُ أفكاره ، أو يمحو كلّ أثر لما عُمل قبله . فستكون فى أول الأمر دليلى .

برنار : لست أفهم جيداً ...

كنك : لا داعى للأخذ فى الحديث الآن فى هذا الأمر ، فلنسر كما كنتم تسيرون ، وسنعدل فى المستقبل إذا اقتضى الحال .

يجلس (كنك)

برنار : لكن ...

كنك : وسواء أكان الأمر متعلقاً بالدعاية ، أو بالأحاديث الشعبية ، أو باجتماعاتنا الخاصة ، فإن طرقك ستكون طرقي ، وأوقاتك أوقاتي .

برنار : إني لأخشى ، يا دكتور ! ألا أكونَ قد فهمتُ ما ترمي إليه .

كنك : إني حريص كلَّ الحرص على أن تظل صلتي وثيقةً بك ، حتى في مرحلة الإعداد التي أنا فيها .

برنار : يظهر أن هناك شيئاً ما خفي علي ...

كنك : ما هذا ؟ أوما كنتَ على صلة دائمة بالدكتور (برپليه) ؟

برنار : كنتُ ألقاه بين حين وآخر في مقهى فُندقِ المِفتاح ، وكنا أحياناً نلعب (البليارد) معاً .

كنك : لست أعني هذه العلاقة .

برنار : لم يكن بيننا سواها .

كنك : ولكن ... لكن ... كيف كنتما تتقاسمان نشر الوقاية الصحية الشعبية ، وعملَ الدعاية في العائلات . . . ثم ماذا أقول ؟ ماذا ؟ الأشغالَ العديدة التي يتعاون فيها كل من المعلم والطبيب .

برنار : لم نتعلم شيئاً قط .

كنك : ماذا ؟ أ كنتما تفضلان أن تعملا كل على حدة ؟

برنار : الأمر أهونُ من هذا . لم نفكر قط في هذا ، أنا وهو .

إنها المرة الأولى التى يُتحدث فيها عن مثل هذه الأمور فى (سان موريس) .

كنك (عليه جميع أمارات الدهشة الموجعة) : لو لم أسمع هذا من فمك أنت ، لما صدقت قط ما أسمع .

(سكون)

برنار : إنى لَيَحزُنُنى أن أكون سبباً فى خيبة الأمل التى لقيتَ ؛ ولكنك تدرك أنه ما كان لى أن أكون البادئ بمثل هذا العمل ، حتى لو خطر ببالى ، وكان العمل فى المدرسة يدع لى فرجة من الوقت .

كنك : هذا بَدَهى ! لقد كنت تنتظر دعوة لم تأت .

برنار : كلما طُلب منى أن أصنع جميلا فعلتُ قدرَ طاقتى .

كنك : إنى لأعرفُ ذلك ، يا مسيو برنار ! إنى لأعرفُ ذلك (سكون) هاك جمهوراً من الناس تُرك وشأنه ؛ أُهمل إهمالاً فى أمورِ صحته ، ووسائلِ الوقاية الصحية .

برنار : حقاً ! .

كنك : أنا أراهن أنهم يشربون الماء من غير أن يفكروا فى الآلاف المؤلفة من الجراثيم التى يبتلعونها فى كل جُرعة !

برنار : آه ! هذا لا شك فيه .

كنك : أوَ تظن أنهم يعرفون ما هى الجُرْثومة ؟

برنار : إنى لأشك فى هذا كلَّ الشك . منهم من يعرفه

« الـكلمة » ولـكنهم يتصورون أنها فصيلة من الذباب .

كنك (يقف) : هذا مزعج . إصغ إلى ، أيها السيد العزيز برنار ! ليس فى استطاعتنا ، أنا وأنت ، أن نصلحَ فى ثمانية أيام أعوامًا من . . . انقل من عدم المبالاة ؛ لـكن ليس لنا أن نقف مكتوفى الأيدى .

برنار : أنا رهنُ إشارتك . ولـكنى أخشى ألا تجِدَ فىَّ المعين الذى تطلب .

كنك : يا مسيو برنار ! لقد أخبرنى من يعرفُك حق المعرفة بأن فيك نقيصةً من أكبر النقائص ، هى تواضُعك . إنك الشخصُ الوحيد الذى يجهل أن له هنا سلطةً أدبية ، وتأثيرا شخصيا قل أن يوجد . معذرة ، إذا كنت أصارحك بهذا ، فليس هنا من عمل جدى يعمل بدون معونتك .

برنار إنك تبالغ ، يا دكتور !

كنك ليـكن . إن فى استطاعتى أن أعالج مرضاى بدونك ؛ ولـكن من ذا الذى يُعيننى على مطاردة المرض ، وعلى الـكشف عنه ؟ من ذا الذي يخبر هؤلاء البائسين بالخطر الذى يُحدق بهم فى كل دقيقة ؟ من ذا الذى يبلغهم أنه يجب ألا يُهمِل المريض نفسه حتى النزع الأخير قبل أن يستدعى الطبيب ؟

برنار إنهم مهملون ، لا أعارض فى ذلك .

كنك (يزداد نشاطه) : فلنبدأ إذن منذ البداية . إن لدى مادة لمدة أحاديث شعبية ، لمذكرات تامة ، ورواشن [1] (اكلشيهات) معدة ، وفانوساً سحرياً : لك أن تعد هذا كله ، كما اعتدت أن تفعل . خذ مثلا : لنبدأ بمحاضرة قصيرة ، محبرة ، ولا عيب فيها ، عن حمى (التيفود) وعن الأعراض التى لا تخطر بالبال ، وعن طرق انتشارها العديدة ، بالماء وبالعيش ، وباللبن وبالقواقع ، وبالخضر ، وبالخس وبالأتربة وبالنفس الخ ، وعن الأسابيع والشهور التى تكمن خلالها قبل أن تظهر إلى عالم الوجود ، وعن الحوادث المميتة التى تسببها فجأة ، والمضاعفات المزعجة التى تجر وراءها . وكل هذا موضح بمناظر بديعة ، بلوحات لجرثومة مكبرة للغاية ، ولجزئيات براز المصابين (بالتيفود) ، وبغدد مصابة وثقوب للامعاء ؛ وليس هذا باللون الأسود ، بل بالألوان المختلفة كالوردى والبنى ، والأصفر والأبيض المخضر الذى تعرف . (يعود فيجلس)

برنار (مخلوع القلب) : إننى سريع التأثر ، فإذا انغمست فى هذا كله فلن أذوق النوم قط .

كنك : ذلك ما نبغى : أعنى : هذا هو الأثر النفسى الذى نود أن نصل إليه عند السامعين . أما أنت يا مسيو برنار !

«١» جمع روشن «بفتح الراء وسكون الواو» وهو الأكلشيه

فستتعود ، وأما هم فليصحوا ! (يميل عليه) ؛ لأن خطأهم في أنهم ينامون في أمن خادع حتي تنزعهم منه ضربةُ الموت القاضية .

برنار (يرتعش، يضع يده على المكتب ، ونظرته زائغة) : ليست صحتى على ما يرام . ولقد تعب والدىّ كثيرا في تربيتى . أنا أعلم أن هذه الجراثيم ليست على رواشنك إلا صُوراً ولكن . . .

كنك (وكأنه لم يسمع شيئا) : أما هؤلاء الذين لم تؤثر فيهم محاضرتُنا الأولى ، فقد أعددت لهم محاضرة أخرى ، لا ينم عنوانها عن شيء غريب : « حاملو العدوى » . فيها أظهرت كالنهار بأمثلة لمستها بنفسى ، أَن من الممكن أن يظهر المرء بوجه مستدير ، ولسان وردى اللون ، وبشهية قوية ، ولكنه يحمل في تضاعيف جسمه ألوف الألوف من الجراثيم الشديدة الفتك التى تكفى لعدوى مديرية بأسرها (يقف) . إن ما لدى من الدراسة ومن التجارب ليكفينى في أن أَشُكّ فيمن أرى لأول مرة في أنه يحمل جراثيم العدوى . فليس هناك ما يَثنيني مثلا عن أن أقولَ إِنك لست من حملة العدوى .

برنار : (يقف) : أنا ، يا دكتور !

كنك : وإنه ليشوقنى أن أعرف إذا كان هناك إنسان يسمع هذه المحاضرة الثانية ، على قصرها ، ثم يُحس من نفسه الرغبةَ في المُزاح .

بيرنار : وهل تظن، يا دكتور ! أننى ، أنا نفسى ، أحملُ العدوى ؟

كنك : لست أقصد أنك نفسَك حاملُ العدوى ، ولكنى ضربت مثلا . إنى أسمعُ صوت مسيو (مُوسْكِيه) . فإلى اللقاء أيها السيد العزيز ! ، وشكرا لانضمامك إلى ؛ فما شككت فى ذلك قط .

المنظر الثالث

كنك والصيدلى مُوسْكِيه

كنك : تفضل فاجلس ، يا مسيو مُوسْكِيه . لم يكن لدى بالأمس متسع من الوقت إلا لنظرة خاطفة ألقيتها على ما بصيدليتك ولكنها كافيةٌ فى الحكم على براعة الترتيب ، ودقة النظام ، وحداثة ما بها حتى فى الجزئيات الثانوية .

موسكيه (بهندام غاية فى البساطة ، غير معنى به) : ما أكثر ما أنت متسامح ، يا دكتور !

كنك : فى اعتقادى ، وهذا أمر أحرص عليه كلّ الحرص ، أنّ الطبيب الذى لا يستطيع أن يعتمد على صيدلى من الدرجة الأولى قائدٌ يذهب إلى ميدان القتال دون مدفعية .

موسكيه : إنى لسعيد حقاً إذ أرى أنك تقدر مهنتنا حقّ قدرها .

كنك : وأنا على ثقة بأن نظاماً كنظامك يلقى بدون شك جزاءه ؛ وأنك تجنى من ورائه خلال العام ما لا يقل عن ٢٥ ألفاً من الفرنكات .

موسكيه : ربما ؟ يالله ! لو جنيت نصف هذا المبلغ !

كنك : ياعزيزى مسيو موسكيه ! إن الرجل الذى أمامك ليس من موظفى مصلحة الضرائب ، ولكنه صديق ، بل إن شئتَ فقل زميل .

موسكيه : لم تبلغ بى السفاهة ، يادكتور ! أن أسيء الظنّ بك . ولكنها الحقيقةُ التى ذكرتها لك (سكون) . إنى لا أكادُ أجاوز عشرةَ آلاف ربحا إلا بشق الأنفس .

كنك : أتدرى أن هذا عار (يهز موسكيه كتفيه حزيناً) . كنت أظن أن أقل ما يمكن أن تجنيه هو خمسةٌ وعشرون ألفا من الفرنكات . . . هل لك من منافس ؟

موسكيه : لا منافس لى ، اللهم إلا على بعد خمسة فراسخ من هنا .

كنك : إذاً ماذا ؟ ألك أعداء ؟

موسكيه : لا أعرف لى عدواً .

كنك (يخفض من صوته) : ألم تحدث لك قديما حادثة مكدرة ؟ . . . سهو . . . مثلا خمسون جراما من روح الأفيون بدل زيت الخروع ؟ هذا يحدث أحيانا .

موسكيه : صدقنى . إنه لم يحدث قط أىُّ حادث فى العشرين سنةَ التى مارست فيها المهنة .

كنك : إذن . . . إذن . . . : أنا أخاف أن أفرض فروضا أخرى . . . ألم يكن سلفى . . . أهلا للعمل الذى كان يضطلع به ؟

موسكيه : لكلٍّ رأيُه .

كنك : أعود فأقول : ياعزيزى مسيو موسكيه ! إن الأمر لى

يتجاوزَنا أنا وأنت .

موسكيه : الدكتور پرپايه رجل فاضل ؟ وقد كانت علاقتى الخاصة به على خير ما يرام .

كنك : ولكن تذاكره الطبية لو جُمعت ما كانت لتكون مجلداً ضخماً ؟

موسكيه : هو هذا .

كنك : كلما جمعتُ ما أعرف الآن عنه تطرق الشك إلى نفسى فى مبلغ اعتقاده فى الطب .

موسكيه : كنت فى بادىء الأمر حريصا على أداء واجبى بأمانة . فكنت كلما شكا الناس إلى ، وبدا لى أن حالتهم تستوجب العناية بصحتهم أرسلتهم إليه . . . ولكن . . . ما كنت لأراهم يعودون بعد ذلك .

كنك : إن ما تقول يؤلمنى أكثر مما ينبغى . إننا ياعزيزى مسيو موسكيه ! من أرباب مهنتين من أجلّ المهن . أليس من العار أن ننزّل بهما قليلا قليلا من سماء الازدهار والسطوة التى رفعهما إليها أسلافنا إلى ... ؟ تكاد لفظة التخريب تداعب شفتى .

موسكيه : حقاً . إذا أغضينا الطرف عن أمر المال ، فإن ضمير المرء يأبى أن ينزل إلى مادون البدّالين والتّنكاريين (السمكارين). أقسم لك ، يادكتور ! إن زوجى لا تجد المال الذى تدفعه لتشترى لنفسها ما تلبسه امرأة التنكارى فى أيام الأسبوع

ويوم الأحد من قبعات وجوارب حريرية .

كنك : صه ! ياصديق . إن هذا يؤلمني . كأنما تقول بأن زوج رئيس مجلس النواب ساءت حالها حتى لجأت إلى أن تغسل ملابس الخبازة كي تعطيها خبزاً مما تصنع .

موسكيه : لو كانت زوجي هنا لفعلت كلماتك فيها فعل السحر .

كنك : إن إقليما كأقليمنا هذا في حاجة إلى أكثر مني ومنك .

موسكيه : هذا حق .

كنك : أنا أفرض مبدئياً أن جميع سكان الإقليم هم آلياً زبائننا الدائمون .

موسكيه : جميعهم ؟ ! ، هذا كثير ! .

كنك : أقول جميعهم .

موسكيه : حقاً إن كل إنسان يمر بفترة من فترات حياته يمرض فيها، فيكون حينئذاك زبوناً لنا .

كنك : حينئذاك ؟ لا ، لا ، زبون دائم ، زبون منتظم .

موسكيه : لكن لا بد من أن يمرض !

كنك : « من أن يمرض » ، هذا كلام قديم لم يعد له من سند أمام كشوف العلم الحديث . الصحة ليست إلا لفظة لا ضير من حذفها من جميع المعاجم . أنا لا أرى إلا أقواماً مصابين كل الاصابة أو بعضها ، بأمراض قلت أو كثرت إن لم تظهر أعراضها عليهم اليوم فستظهر غدا . وبديهي أنك

إذا أفهمتهم أنهم أصحاءُ الأجسام لصدقوك . . . ولـكنك تخدعهم . إن عذرك حينئذاك إنما هو فى كثرة ما تعالج من مرضى لا تمكنك من أن تعالج أكثر منهم .

موسكيه : هذه على أى حال نظرة سديدة .

كنك : إنها نظرية غاية فى الحداثة ، يامسيو موسكيه . فـكر فيها ، وهى قريبة جداً من الفـكرة الجديرة بالاعجاب التى تقول بأن الشعب المسلح هو قوة الدول اليوم .

موسكيه : يا لك من مفـكر ، يا دكتور كنك ! ومهما دافع الماديون عن رأيهم فإن هذه الفـكرة هى التى تقود العالم .

كنك : (يقف) اصغ إلى . (الاثنان واقفان ، يقبض كنك على يدى موسكيه) قد أكون معتداً برأيى ، وربما كان من نصيبى الإخفاق . لـكن لو انقضى العام ، يوما فيوما ، ولم تـكن قد جنيتَ الـ ٢٥ ألف فرنك التى هى حقـك ، ولم تكن كذلك زوجك قد استطاعت شراء القبعات والأثواب (والفساتين) والجوارب التى تليق بمثلها ، فلـكما أن تحضرا إلى هنـــا فتعزرانى ، وتصفعانى على خدّى .

موسكيه : يا سيدى الدكتور ، إننى إن لم أشكرك بانشراح صدر أكون ناكراً لجميلك ؛ وأكون صعلوكا إذا لم أساعدك بكل ما أوتيت من قوة .

كنك : حسناً ، حسناً . اتعتمد علىّ كما أعتمد عليك .

المنظر الرابع

كنك والسيدة ذات الرداء الأسود

(إنها فى الخامسة والأربعين من عمرها ، ويبدو عليها البخل الريفى والإمساك)

كنك : أه ! هاهم أولاء المرضى (بصوت مرتفع) : لقد بلغوا الاثنى عشر عدًّا ! بلِّغ من يصل بعد الآن بأننى لن أستطيع بعد الساعة الحادية عشرة فحص أىّ مريض بالمجان . أأنتِ أولُ من حضر ، ياسيدتى ؟ (يدخل السيدة ذات اللباس الأسود ، ثم يغلق الباب) . أمِن أهل الإقليم أنتِ ؟

السيدة : أنا من سكان القرية .

كنك : أمِن (سان موريس) نفسِها ؟

السيدة : أنا أسكن العِزْبة الكبيرة التى فى طريق لُوشِير Luchère .

كنك : ألكِ هى ؟

السيدة : إنها لى ولزوجى .

كنك : إن كنتِ تفلحينها بنفسك فإنها تتطلب منك عملا كثيراً ؟

السيدة : تصور ، ياسيدى ! ثمانى عشرة جاموسةً وبقرتين وثورين ، والفرسة والمهر ، وكذلك ستّ عنزات ونحوا من اثنى عشر خنزيرا ، وما يصحب هذا كلّه من دجاج وإوز وبط . . . الخ .

كنك : ما هذا كلّه ؟ أو ليس عندكِ من خدم ؟

السيدة : بلى ! الثلاثةُ غلمان وخادمة ، والفَعَلةُ فى المواسم .

كنك : أنا أرثى لحالك . يكاد وقتُك لا يتسع إذن لكى تُعْنَىْ بنفسك .

السيدة : أه . لا .

كنك : ومع ذلك فأنت تتألمين .

السيدة : بل إنه التعب .

كُنُكْ : أجل ، تسمين هذا تعبا (يقترب منها) أَخرجى لسانك . إن اشتهاءَكِ للطعام ، لا شك ، قليل .

السيدة : نعم .

كنك : أعندكِ انقباضُ بطن (إمساك) ؟

السيدة : نعم ، بعضَ الشيء .

كنك (يفحصها) : اخفِضِى رأسك . تنفسى ، اسْعُلى . ألم تسقطى وأنتِ صغيرةٌ من فوق سُلَّم خشبى ؟

السيدة : لا أتذكر .

كنك : يَجُس ظهرها وَيَنْقُرعليه ، ويضغط فجأة على كُلْيَتَيها .

أَلا ينتابُـك ألم فى هذا الموضع فى المساء عند النوم ؟ نوع من التراخى .

السيدة : أجل ، أحياناً .

كنك (يستمر فى جسها) . حاولى أن تتذكرى . إنه لن يكونَ إلا سُلّمَةً كبيراً .

السيدة : قد يكون ذلك .

كنك (بهيئة الواثق) : لقد كان سلماً ارتفاعُه ثلاثة أمتار ونصفُ المتر مرتكزاً على حائط ، ولقد وقعتِ منه على ظهرك ، وكان من حسن حظك أنْ كان سقوطُك على خُربتك اليسرى .

السيدة : رباه !

كنك : هل استشرت من قبلُ الدكتور پَرِيليه ؟

السيدة : لا ، أبدا .

كنك : لماذا ؟

السيدة : لأنه لم يكن لديه قط استشارات بالمجان .

(صمت)

كنك (يجلسها) : أتدركين الحالة التى أنت بها ؟

السيدة : لا .

كنك (يجلس تجاهها) : الحمد لله ! ألكِ رغبة فى الشفاء أو ليست لك رغبة فيه ؟

السيدة : لى رغبة .

كنك : يجب أن أخبركِ منذ الآن بأن شفاءك سيقتضى وقتاً طويلا ، وسيكلفك كثيراً من المال .

السيدة : آه ! يالله ! ولم كل هذا ؟

كنك : لأن مرضا دام أربعين عاما لا يشفى فى دقائق .

السيدة : دام أربعين عاما ؟

كنك : أجل ، منذ وقعت من على السلّم .

السيدة : وكم من المال سيكلفنى هذا ؟

كنك : ما أثمان المجول الآن ؟

السيدة : تختلف الأثمان تبعاً للأسواق وللسِّمَن ، ولكن ليس من الممكن الحصول على عجل سمين إلا بأربعمائة أو بخمسمائة فرنك على الأقل .

كنك : وما أثمان كبار الخنازير ؟

السيدة : منها ما يزيد ثمنه عن ألف فرنك .

كنك : حسناً . سيكلفك الشفاءُ قرابةَ ثمن عجلين وخنزيرين .

السيدة : ويلاه ! قرابة ثلاثة آلاف فرنك . إنه الخراب ! يا رسول الله !

كنك : إذا فضلت أن تحجى وتزورى فلا مانع لدى من ذلك .

السيدة : آه ! إن الحج سيكلفنى أكثرَ من هذا . وكثيراً ما تظل العلة (صمت) . ما هذه العلة الرهيبة التى أنا مصابة بها ؟

كنك : (فى وداعة بالغة) سأشرحها لك فى دقيقة على السبورة

السوداء (يذهب إلى السبورة ويشرع فى عمـل رسم تخطيطى) هذا نُخاعك فى صورة قطاع مُسْتعرِض بصورة تقريبية ، أليس كذلك ؟ هنا حزمة العروق وهنا عمودك ... ... هل تتابعيني ؟ حسناً ! حينما وقعتِ من على السلم انزلق هذا وهـــذا فى اتجاهين متضــادين (يرسم سهاما تبين الاتجاه) بضع مليمترات . قد يبدو لك هــذا المقدار تافهاً . هذا حق ، ولــكن وضعهما مقلق للبال . هذا ، وفى هذا الوضع جذب مستمر يؤثر فى متعدد الأقطاب ...

(يمسح يديه)

السيدة : ويلاه ! ويلاه !

كنك : اعلمى أن الخطر غير مُحْـدِق بك . قد تطول حياتُك .

السيدة : رباه ! رباه ! ما هــذه المصيبة التى أصابتنى من هذه السقطة .

كنك : لا أرى مانعاً من أن نترك الحال على ما هى عليــه الآن . فإن الحصول على المال أمر غير هين ، أما سنوات الشيخوخة فلدينا منها ما يكفى . ماذا فيها من ملذات ؟

السيدة : وإذا أنت عالجتنى علاجاً لا رفاهية فيه ، ألا تستطيع أن تشفينى بأجر أقلّ من ذلك ؟ على شريطة أن أعالج مع ذلك بعناية .

كنك : كلُّ ما أستطيع أن أعرضَــه عليك هو أن أراقب حالك

فترة من الزمن ، ولن يكلفك هـذا شيئاً . وبعد عدة أيام تستطيعين بنفسك أن تدركى إن كان حالك يستدعى العلاج أو لا ، تبعاً لتطور العلة أو لزوالها .

السيدة : ليكن ذلك .

كنك : حسناً . عودى إلى منزلك . هل جئت إلى هنـا فى سيارة ؟ .

السيدة : لا . بل ماشية على قدمىّ .

كنك (وهو جالس على منضدته يكتب تذكرة الدواء) : خير لك أن تبحثى عن (عربة) تعود بك . إلزمى الفراش عند وصولك ، فى غرفة تـكونين فيها وحدك ، إن كان هـذا ممكناً . أغلقى النوافذ ، وأسـدلى الستائر حتى لا يزعجك الضوء . لا يكلـمك أحـد ، ولا تأكلى أىّ شىء صلب طـوال الأسبوع ، بل اشربى كوباً من ماء (فيشى) كل ساعتين ، وإذا اقتضى الأمر فـكـلى نصف (بسكوتة) صباحاً ومساء مغموساً فى قليل من اللبن . بيد أنى أفضـل ألا تأكلى (بسكوتاً) . هذا دواء — كما ترين — زهيد القيمة ! فإذا انقضى الأسبوع رأينا ما ذا فعلت العلة . فإذا وجدنا أنك قوية البنية ،... أن قوتك وبشاشتك عادتا إليك دل هذا على أن العلة لا يخشى منها ، كما نظن . أما إذا أحسست بضعف عام ، بثقل فى الرأس ، وببعض الخمول عند نهوضك ، فلن

يكون هنـاك مجال للتردد ؛ وعلينا أن نبادر فنشرعَ فى العلاج . أرضيت ؟

السيدة (تتنفس الصعداء) الرأى لك .

كنك (يشير إلى التذكرة) : لقد قيدت أوامرى فى هـذه الورقة التذكرة ، وسأعودُك عن قريب (يناولها التذكرة ويرافقها لتخرج ؛ موجهاً كلامه للممرضة بصوت عال) ساعـــدى يا مَرْيت ! السيدة لتنزل السلم ، ولتجد سيارة .

يظهر على وجوه بعض المرضى عند رؤيتهم السيدة شىء من الرهبة والتبجيل .

المنظر الخامس

كنك والسيدة ذات الرداء البنفسجى

(إنها فى سن الستين من عمرها ؛ جميع أجزاء ردائها من اللون البنفسجى ، تتوكأ بعظمة على نوع من العصى يشبه المهمزة)

السيدة (فى تكلف) إنك ــ ولا شك ــ تعجب ، يا دكتور ! من رؤيتى هنا .

كنك بعض العجب ، يا سيدتى !

السيدة : من رؤية سيدة من أسرة (بُنس) Pons ، وهى من آل (لمبومس) Lempomas تأتى لتستشيرك بالمجان . إن هذا حقاً آيةُ العجب .

كنك : بل إنه لشرف عظيم لى .

السيدة : لعلك تقول فى نفسك : إن هذه إحدى النتائج الجميلة لانقلاب الحال ، فبينما يركب كثير من ذوى السِّيَر السيئة . وبائعى الخنازير (العربات) ويعبُّون (الشمبانيا) مع الممثلات ــ تأتى سيدة من آل (لمبومس) ، سيدة من أسرة عريقة فى المجد تنتمى إلى القرن الثالث عشر الميلادى ، من غير انقطاع فى سلسلة النسب ، وكانت

من قبلُ تملك نصف هـذا الإقليم ، وكانت تصاهر جميع نبـلائه ، والطبقة الوسطى فيه ـ تضـطر إلى أن تأتى لتقف في الصف مع فقراء (سان موريس) وفقيراتها ! !
اعترف ، يا دكتور ! بأن هناك ما هو أغرب .

كنك (يجلس) : نعم ، ياسيدتى ! للأسف .

السيدة : لن أقول لك : إن دخلى ظل على ما كان عليه قبلا ، أو إننى احتفظت بالخدم الستة ، وبالاصطبل ذى الأربعة الأحصنة التى جرت العادة بوجودها فى العائلة حتى وفاة عمى . بل لقد اضطررت فى العام الماضي أن أبيع ضيعة ذات مائة وستين هكتاراً تسمى (لَميشُوىّ) La Michouille ، كنتُ قد ورثتها من جدتى لأمى . إن اسمها نفسه من أصل إغريقى ولاتينى ـ كما يقول القس ـ إنه مشتق من Mycadium ، ويعنى كراهية الفُطر (عش الغراب) ؛ إذ أنه لم يعثر قط فى هذه الضيعة على فُطر واحد ، كما لو كانت الأرض تتقزز منه . حقاً ، إن صافى دخلها ـ بعد دفع الضرائب ، وإصلاح ما كان يستحق الإصلاح ـ أصبح تافهاً ، ولا سيما وأن المزارعين منذ مات زوجى ، كثيراً ما يستغلون ضعفى ، ويطلبون تخفيضاً أو مهلة ، حتى ضقتُ ذرعاً بهم ، ضقتُ ذرعاً بهم ! ! ، ألا تظن ، يادكتور ! أنى أحسنت صنعاً بتخلصى من هذه الضيعة ؟

كنك (وقد أصغى كل الاصغاء لحديثها) : أعتقد ذلك ياسيدتى ! ولا سيما إذا كنت تحبين الفطر ، وكنت قد استغللت نقودك خير استغلال !

السيدة : لقد ضربت على الوتر الحساس .. إننى أسائل نفسى صباح مساء ، إذا كنت قد استغللتها حقاً خير استغلال ؟ وإنى لأشك فى ذلك ، لأشك كل الشك . لقد سمعت نصيحة هذا الموثق الأبله ، وإن كان من خيرة الناس ؛ بيد أنى أعتقد أنه أقل فصاحة من منضدة زوجه العزيزة المستديرة التى كانت تستعمل فترة من الزمن — كما تعلم — ترجمانة للأرواح . لقد اشتريت — فيما اشتريت — طائفة من أسهم شركات مناجم الفحم . ما رأيك ، يا دكتور ! فى شركات الفحم ؟

كنك إن أسهمها عادة ذات قيمة عظيمة ، ولكنها عرضة لتقلب الأسواق المالية ؛ فطوراً ترتفع ارتفاعاً لا يجارى ، وطوراً تنخفض انخفاضا لا يعرف سببه .

السيدة : يا لله ! إن بدنى ليقشعر مما تقول . أكاد أقتنع بأنى اشتريتها حين كانت مرتفعة ؛ دفعت فيها نحوا من خمسين ألف فرنك عداً . الحق أن من الخبل أن يكتتب المرء فى أسهم من شركات المناجم بمثل هذا المبلغ ، إذا لم يكن ذا ثروة بالغة .

كنك : يخيل إلى حقيقة أن ما يستغل فى مثل هذه الأسهم يجب ألاّ يتجاوز عُشْر الثروة كلها .

السيدة : أه ! عشر الثروة كلها ؟ ! ، فإذا لم يكن يعادل عُشر الثروة ، أفلا يكون فى هذا حمق قط ؟ !

كنك : قط !

السيدة : إنك تدخل الطمأنينة إلى قلبي يا دكتور ! لقد كنتُ فى حاجة إلى ذلك . إنك لا تعرف مقدار الانشغال الذى أنا فيه ، من جرّاء القرشين اللذين أملك حتى لأُحدث نفسى أحيانا ، بأننى فى حاجة إلى انشغال بال جديد ليَطردَ ما لدي منه . إن طبيعة الانسان ، يا دكتور ! شيء تافه ! والقدرُ يُزيدنا على ألا نُذْهِب عنا عذابا إلا إذا استبدلنا به آخر ، ولكن فى هذا التغيير نفسه بعضَ الراحة . من لى بألا أفكر طول اليوم فى مستأجرى وملتزمى وأسهمى ؟ ولكن ما العمل . وفى مثل سِنى لا يحمُل المشق آه ! آه ! آه ! ولا الرحلةُ حول العالم . إنك تنتظر — ولا شك — أن أشرح لك لماذا وضعت نفسى فى الصف بين هؤلاء الفقراء ؟ !

كنك : أيا كان الدافع لكِ ، يا سيدتى ! ، فإن له ما يبرره .

السيدة : هاكَهُ ! أردت أن أضرب مثلا . لقد رأيتُ أنك أُلهمتَ ، يا دكتور ! أيّما إلهام ، لكنى أعرف طبيعة سكان

الإقليم ؛ ففكرت : « ليس من عادة هؤلاء أن يذهبوا إلى الطبيب ، فلن يذهبوا ، وسيذهب كرم هذا الرجل سُدًى » وقلت فى نفسى : « لو أنهم رأوا سيدة من سيدات (بُنْس) من آل (لَمْـبُومَسْ) لم تتردد فى أن تفتتح الاستشارات المجانية ، لما خجلوا ـ بعد ذلك ـ فى أن يحضُروا » ؛ لأن جميع حركاتى وسكناتى معدودة ، وتتناولها الألسنة . وهذا طبيعى .

كنك : لقد أحسنت صنعاً ، يا سيدتى ! ، فشكرا لك .

السيدة (تقف ، وتتظاهر بالانصراف) : أنا سعيدة ، يا دكتور ! بتعرفى بك . إنى قعيدة منزلى عصر كلِّ يوم ، ويزورنى بعضُ الناس فنجتمعُ حول إبريق للشاى من طراز (لويس الخامسَ عشرَ) ورثته عن أسلافى . وسيكون هنالك دائماً فنجان من الشاى لك (ينحنى كنك ، وهى تخطو نحو الباب) . أتعرفُ أنى حقيقةً معذبةٌ ، معذبةٌ جداً ، مع المستأجرين والأسهم ، ولقد تمر بى ليالٍ لا أذوق فيها للنوم طعماً . وهذا يَهُدُّ كِيانى . إن لديك ـ ولا شك ـ يا دكتور ! « سراً » ما يَجلب النوم .

كنك : أينتابكِ هذا الأرق منذ مدة طويلة ؟

السيدة : منذ مدة طويلة جدا ، جدا .

كنك : هل عرضتِ نفسكِ على الدكتور پرپليه . ؟

السيدة : نعم . عدةَ مرات .

كنك : وماذا قال لك ؟

السيدة : أن أقرأ كلّ ليلة ثلاث صفحات من القانون المدنىّ - لقد كان يمزح . إنه لم يهتم قط بأمرى .

كنك : ربما كان غير مصيب ؛ لأن بعض حالات الأرق ، تُنبِئ عن أمر ذى بال .

السيدة : أحقّ هذا ؟

كنك : قد يَنْجُم الأرق عن اضطراب أصلى فى الدورة التى فى المخ ، ولا سيما عن تغيّر فى الأوعية التى تسمّى « الأوعية الصُّلبة » . ربما كانت شرايين مخك ياسيدتى ! « صُلبة » .

السيدة : يا إلهى ! يا إلهى ! صلبة ؟ ! هل لاستعمال الطباق أثر فى ذلك ؟ إننى أستعمل النّشوق أحيانا .

كنك : هذا أمر يجب أن ندرسه . كذلك ينشأ الأرق من نوبة حادة ودائمة .

السيدة : هذا - ولا شك - بشع . اشرح لى ، يا دكتور ! هــذا .

كنك : (فى رزانة بالغة) تصورى سرطانا ، أو ذاتَ صَدَفٍ ، أو عنكبوتاً هائلا آخذا فى قضْم مخكِ ، وفى مصه شيئاً فشيئا ، وتمزيقه فى هوادة .

السيدة : رباه ! (تهوى على وثير) ، إن فى الأمر ما يجلب الغَشْيَ

(الإغماء) من الهول ! إن هذا ، ولا شك ، ما بى . لقد أحسه جيداً ، اقض علىّ يادكتور ! فى الحال ! أرجوك . حقنة ! ، حقنة ! ، أو بالأحرى لا تتخلّ عنى . إنى أشعر بنفسى ، وقد انزلقت إلى آخر درجة من الرعب . (صمت) لا بد أنها علة مستعصية ؟ مميتة ؟

كنك : لا .

السيدة : أهناك أمل فى الشفاء ؟

كنك : نعم ، على ممر الأيام .

السيدة : لا تخدعنى ، يادكتور ! قِفْنى على الحقيقة .

كنك : إن الشفاء رهن بانتظام العلاج ، وبمدته .

السيدة : مِمَّ الشفاء ؟ أمِن الشيء الصُّلب أم من المنكبوت ؟ لأنى أكاد أعتقد أنى مصابةٌ بهذا المنكبوت .

كنك : يُشفى المريض من هذا ومن ذاك . ولكن الأمل فى الشفاء يكون قليلا عند شخص ليس لديه الوقت والوسائل ، لعلاج نفسه بأحدث طرق العلاج . أما أنت ، فليس أمرك كذلك .

السيدة : (تقف) أوه ! سأكون ، يادكتور ! أكثر المرضى طواعية ، ممتثلة كالكلب الصغير ، وسأعمل ما استطعت كلّ ما تأمر به من علاج ، ولا سيما إذا كان غيرَ مؤلم كثيراً .

كنك : لا ألم مطلقاً ؛ لأننا سنستعين بالأشعة فى العلاج . إنما الصُّعوبة فى الصبر عليه بدون ملل ، عامين أو ثلاثة ، وفى

العثور على طبيب يأخذ على نفسه تبِعة مراقبة الشفاء من غير انقطاع ، ويقدّر بدقة الكميات اللازمة من الأشعة للجسم ، ويوالى عياداته للمريض كل يوم تقريباً .

السيدة : أوه ! أما أنا فسألزم الصبر . وأما أنت ، يادكتور ! فلن تريد العناية بى ما وجبت العناية .

كنك : أريد ! ؟ أريد ! ؟ ما أحبّ هذا إلى نفسى . أما أنْ أقدر على ذلك ... ! . هل تسكنين بعيداً عن هنا ؟

السيدة : لا ، بل على قيدِ خُطوات ، فى المنزل المقابل لمصلحة التمغة والموازين .

كنك : سأحاول المرور بك على عجل كل صباح ، ما عدا يومَ الأحد . أما يومُ الاثنين ، فسأكون مشغولا باستشاراتى .

السيدة : أَوَ لا يكون كثيراً غيابُك عنى يومين متعاقبين ؟ أى : إننى سأظل يومين كاملين من غير عناية بى ، من السبت حتى الثلاثاء ! .

كنك : سأترك لك تعليمات مفصلة ، وإذا وجدت لدى متّسعاً من الوقت ، مررت بك لحظة صباح الأحد أو عصر الاثنين .

السيدة : آه ! الحمد لله ! الحمد لله ! (تعود فتقف) وما الذى يجب علىّ عمله الآن ؟ .

كنك : عودى إلى منزلك . الزمى الفراش ، وسأمر بك غداً صباحاً لأفحصك جيداً .

السيدة . أوَ لا تأمرُ لى اليوم بدواء أتناوله ؟

كنك : (يقف) طبعاً . (يكتب تذكرة فى عجلة) مُرِّى بالمسيو (موسكيه) ، واطلبي منه أن يحضِّر لك هذا الأمر الهيِّن .

المنظر السادس

كنك وفتيان من القرية

كُنُكْ (بصوت عال) : ما هذا العالَم كلّه ، يامَرْيت ؟
(ينظر فى ساعته) : هل أعلنتِ أن الكشف بالمجان
ينتهى فى الساعةِ الحاديةَ عشْرةَ والنصف ؟

المرضة : نعم أعلنت ذلك ، ولكن الناس يريدون البقاء .

كنك : على من الدور الآن ؟ (يتقدم فتيان ، وهما يقاومان الضحك ويتدافعان بالمرافق ، ويتغامزان ، ثم يستغرقان بغتة فى الضحك . أما جمهور الناس خلفهما فيتلهى برؤية حركاتهما ويتعالى ضجيجه . يتظاهر كنك بأنه لم يلحظ شيئاً) . أيّكما قدِم أولا ؟

أحد الفتيين (ينظر بمؤق عينيه ، ويكتم ضحكة فى شىء من الخوف) :
هِه ، هِه ، هِه ! كلانا . هِه ، هِه ، هه !

كنك : ولكن لن يُكشفَ عليكما معا ؟

الفتى نفسه : أجل ، أجل ! هِه ، هه ، هه ! (ضحك بصوت مرتفع)

كنك : لن أستطيعَ الكشف عليكما معا ، فاختارا أحدَكما .
على أننى لا أتذكر أننى رأيتكما هنا قبل الآن ، فهناك من
هو أسبقُ منكما فى القدوم .

الفتى نفسه : لقد تنازلوا لنا عن دورهم . اسألهم . هِه ، هه !
(ضحك وصياح)

الفتى الثانى ((بجرأة)) : نحن الاثنين نسير دائماً معاً ، نكوّن زوجا من الناس . ـهه ، ـهه ، ـهه ! (ضحك بصوت مرتفع)

كنك (يعض شفته السفلى ، وبصوت هادىء) : ادخلا . (يغلق الباب ، ويوجه الكلام للفتى الأول) اخلع ملابسك . (وللثانى وهو يشير إلى كرسى) أما أنت فاجلس هنا . (يتبادلان الاشارات ، وينفقان فى تصنع)

الفتى الأول (لم يبق عليه إلا سراويله وقميصه) : هل تريدنى عارياً ؟

كنك : اخلع كذلك قميصك (يظهر الفتى فى فانلة من الصوف) هذا يكفى (يقترب كنك ويدور حول الفتى ثم يجسه ويفحصه ، وينقر على صدره ويشد جلده ؛ يقلب الجفون ويقلص الشفاه ، ثم يبحث عن جهاز لحص الزور ، ويضعه على رأسه ، ويلقى فجأة بالضوء المتوهج على وجه الغلام ، وأقصى داخل حلقه وفى عينيه ، ويطلب من الفتى الثانى الانتقال إلى وثير ، لأن ما رآه قد هد أعصابه) . استلق هنا . هلم . اقبض ركبتيك . (يجس البطن ، ويضع السماعة هنا وهناك) . ابسط ذراعك (ينحص النبض ، ويقيس ضغط الدم) . حسنا . البس ملابسك . (سكون ، يلبس الفتى ملابسه) الا يزال أبوك حيا ؟ .

الفتى الأول : لا ؛ إنه ميت .

كنك : هل مات موتَ الفُجاءة ؟

الفتى الأول : نعم .

كنك : هو ذلك . لم يكن ، ولا شك ، هرما ؟

الفتى الأول : لا ، كان فى سن التاسعة والأربعين .

كنك : أبلغَ هذه السن ؟ (سكون طويل . لم يعد الفتيان يرغبان قط في الضحك . يذهب كنك يبحث في ركن من الغرفة عنـد قطعة من الأثاث ، ويعود حاملا لوحات كبيرة من الورق المقوى بها صور تمثل الأعضاء الأساسية عند مدمني الخمور وعند الرجل العادي . يخاطب الفتى الأول بلطف) سأريك الحال التي عليها أعضاءُ جسمك . هاكَ كُلْـيَـتَيِ الرجـل الطبيعي ، وهاكَ كُلْـيَتَـك (يتمهل قليلا) ، وهاكَ كبدَكَ ، وهـذا قلبُـك . غير أن قلبَـك أ كثرُ إصابة مما في هذه الصورة .

يذهب كنك في هدوء ليعيد الصور مكانها

الفتى الأول (بوجل ظاهر) : عَـلَيَّ إذن أن أمتنعَ عن شرب الخمر .

كنك : شأنَـك ! ما تريد .

سكون

الفتى الأول : هل من دواء أتعاطاه ؟

كنك : لا تتعب نفسك (يخاطب الثاني) . جاء دورك الآن .

الفتى الأول : إذا شـئتَ ، ياسيدي الدكتور ! عدتُ إليـك في كشف بأجر .

كنك : من العبث أن تفعل ذلك .

الفتى الثاني (في شفقة بالغة) . لستُ مريضاً ، ياسيدي الدكتور !

كنك : وما يدريك ؟

الفتى (يتقهقر وهو يرتعد) : إني في صحة جيدة ، ياسـيدي الدكتور !

كنك : لمـاذا جئت إذن إلى هنا ؟

الفتى (يتقهقر وهو يرتعد) : لمرافقة صديق .

كنك : وهل فتى فى مثل سنه فى حاجة إلى رفقة ؟ هلم ! اخلع ملابسك !

الفتى (يتوجه نحو الباب) : لا ، لا ، يا سيدى الدكتور ! فى يوم آخر . سأعود ، ياسيدى الدكتور !

(سكون . . يفتح كنك الباب . يسمع ضجيج الناس الذين يضحكون مقدما . يترك كنك الفتيين يخرجان ، فيبدو على ملامحهما الرعب والفزع ، ويخترقان جمهور الناس بغتة فى هدوء كما لو كانا فى جنازة .)

الفصل الثالث

البهو العظيم فى فندق المفتاح

يحس الناظر أن فنـدق عاصمة الإقليم فى طريق تحويله إلى مستشفى . لا تزال تقاويم باعة الأشربة معلقة ، ولـكن ظهرت إلى جانبها الأدوات الطبية اللامعة و(البويات) البيضاء ، ولفائف من (القماش) الأبيض المطهر .

المنظر الأول

مـــدام ريمي وسيپيون

مدام ريمي : هل وصلت السيارة يا («سيپيون» ؟
سيپيون : نعم ، ياسيدتي !
مدام ريمي : يقال : إن الثلج كان يسد بعض الطريق .
سيپيون : قليلا . تأخرت السيارة عن موعدها خمس عشرة دقيقة .
مدام ريمي : لمن هذه الحقائب ؟
سيپيون : لسيدة من ليڤرون Livron جاءت لاستشارة الطبيب .
مدام ريمي : ولكننا لا ننتظر قدومها .
سيپيون : أنت واهمة ؛ فالسيدة التي ستأتي الليلة قادمة من (سان مرسلان) Saint-Marcellin .
مدام ريمي : ولمن هذه الحقيبة ؟
سيپيون : لرفاشل .
مدام ريمي : ماذا ؟ هل مسيو پرپليه هنا ؟
سيپيون : في إثرنا ، على بعد خمسين متراً منا .
مدام ريمي : لماذا قدم ؟ أرجو ألا يكون قد عاد اليوم ليسترد عيادته .
سيپيون : ربما كان مجيئه ليعالج .

مدام ريمي : لكن ليس عندي إلا حجرتان خاليتان رقم ٩ ورقم ١٤ ؛ وقد احتفظت برقم ٩ للسيدة القادمة من (سان مرسلان) أما رقم ١٤ فسأنزل بها السيدة القادمة الآن من ليڤرون . لماذا لم تقل لرفاشل بأنْ ليس عندنا مكان لمبيته ؟

سيبيون : عندنا رقم ١٤ . وما كان لى الخيرة بين سيدة ليڤرون ورفاشل .

مدام ريمي : إنى جد متضايقة .

سيبيون : اجتهدى فى أن تجدى حلا . أما أنا فواجب المرضى يدعونى .

مدام ريمي : لا ، ياسيبيون ! انتظر هنا حتى يحضر مسيو بربليه ، لتقول له بأنْ ليس هنا مكان ينزل به ؛ لأنى لا أستطيع أن أقول له هذا بنفسى .

سيبيون : أنا آسف ، ياسيدتى ! لم يبق لدى من الوقت متسع إلا للبس درّاعتى blouse . سيكون الدكتور كنك هنا بعد لحظات . وعلى أن أجمع بول رقمى ٥ و ٨ وبصاق وحرارة ١ و ٣ و ٤ و ١٢ و ١٧ و ١٨ الخ . ولست مستعدا لأن أعنف .

مدام ريمي : ألا تحمل حقائب هذه السيدة حتى الحجرة ؟

سيبيون : أين الخادم ؟ أقاعدة هى تتفلى ؟

(يغادر سيبيون المسرح ، ثم تتبعه مدام ريمي حين ترى مسيو بربليه قادماً)

المنظر الثانى

بر پليه وحـــده ثم الخادمة

الدكتور بر پليه: احم ! أليس هنا من أحد ؟ يامدام ريمى ! ... ياسيپيون ! هـذا غريب ... هاك على كل حال حقيبتى . ياسيپيون !

الخادمة (فى لباس الممرضة) : سيـدى ! ماذا تريد ؟

الدكتور : أين صاحبة الفُندق ؟

الخادمة : لمـاذا يا سيدى؟

الدكتور : لترَينى غرفتى !

الخادمة : أنا لا أدرى أين هى . أأنت أحـد المرضى الذين ننتظر قدومهم ؟

الدكتور : لست مريضاً ، يا آنسة ! أنا طبيب .

الخادمة : آه ! هل قدمت لمعاونة الطبيب كنك ؟ إنه حقاً فى أشد الحاجة إلى مساعد .

الدكتور : ألا تعرفيننى يا آنسة ؟

الخادمة : لا ، ياسيدى ! أبداً .

الدكتور : أنا الدكتور بر پليه . لقد كنت طبيب (سان موريس)

منذ ثلاثة أشهر فقط . قد لا تكونين من هذا الإقليم .

الخادمة : بل منه . ولكني لا أعرف أنه كان هذا طبيب قبل الدكتور (كنك) . (سكون) . معذرةً ، ياسيدى ! ستحضر ، ولا شك ، صاحبة الفندق . يجب أن أتم تمقيم أكياس المخدات .

الدكتور : لقد تغيرت معالم هذا الفندق تغيراً غريباً .

المنظر الثالث

پرپليه ثم مدام ريمى.

م . ريمى	(تسترق النظر) : إنه لا يزال هنا ! (تصمم) .. عِم صباحاً ، يا مسيو پرپليه . أرجو ألا تكون قد قدمت لتسكنَ هنا ؟

الدكتور	: بلى ... كيف حالكِ ، يا مدام ريمى ؟

م . ريمى	: يا له من مشكل ! لم يعد لدى غرف خالية .

الدكتور	: وهل اليوم يومُ سوق إذن ؟

م . ريمى	: لا ، بل يوم عادى .

الدكتور	: وهل جميع غرفك مسكونةٌ فى يوم عادى ؟ ما هذا الخَلْق ؟

م . ريمى	: مرضى .

الدكتور	: مرضى ؟

م . ريمى	: نعم . قوم يعالجون .

الدكتور	: ولماذا يقيمون عندك ؟

م . ريمى	: لأنه ليس فى (سان موريس) فُندُق آخر . على أى حال ، إنهم على أحسن حال عندنا حتى تُهيَّأ لهم المسكن الجديد .

إنهم يعالجون حيث هم ، ونُهيئ لهم جميع السبل الصحية الحديثة .

الدكتور : ولكن من أين طلعوا ؟

م . ريمى : أتقصد المرضى ؟ يأتون إلينا منذ عهد غير بعيد من كل فج . أما فى أول الأمر فكانوا من عابرى السبيل .

الدكتور : لا أفهمُ شيئاً .

م . ريمى : بلى . إنهم عابرو السبيل الذين يوجدون فى (سان موريس) لقضاء أعمالهم ؛ فلا يكادون يسمعون عن الدكتور (كنك) حتى يأتوا إليه يستشيرونه من باب حب الاستطلاع ، لقد كان شعورهم يوحى إليهم بأن بهم مرضاً ، وإن كانوا لا يدركون حقيقة حالهم . ولكن إذا لم يكن حُسْن حظهم قد دفع بهم إلى (سان موريس) لكان كثير منهم قد مات الآن .

الدكتور : ولماذا ماتوا ؟

م . ريمى : لأن جهلهم بحالهم الصحية يجعلهم يستمرون فى الأكل والشرب وفى عمل كثير مما يجب الحذر منه .

الدكتور : وهل ظل جميع هؤلاء الناس هنا ؟

م . ريمى : نعم لا يكادون يعودون من عند الدكتور (كنك) . حتى يلزموا الفراش ، ويبدأوا فى العلاج . على أن الحال قد تغير اليوم عن ذى قبل ، فالذين يأتون إلينا اليوم هم قوم

جاءوا من بلادهم خصيصاً ليعالجوا . والذى يقلق بالنا هو أنه ليست لدينا الأماكن التى تكفيهم ، وسنضطر للبناء قريباً .

الدكتور : هذا مدهش .

م . ريمى (بعد تفكير) : حقاً ، إن الأمر يبدو لك مدهشاً . لو كُتب عليك أن تعيش كما يعيش الدكتور (كنك) لاستجرتَ بالله .

الدكتور : هى ! وكيف يعيش إذن ؟

م . ريمى : يعيش عيشة المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة . لا يكاد يصحو من نومه حتى يخرجَ لعيادة مرضاه فى منازلهم . وفى الساعة العاشرة يمر بالفندق — فسيكون هنا بعد خمس دقائق — ثم يذهب للكشف على المرضى فى عيادته ، ثم يعود فيزور مرضاه حتى طرفِ الإقليم . حقاً إن لديه سيارة ، سيارةً جديدة جميلة يقودها بنفسه بأقصى سرعة ؛ ولكن أؤكد لك أنه قد تمر به أيام لا يتغذى فيها إلا بشطائر . . .

الدكتور : هذا هو ما يحدث لى تماماً فى (ليون) .

م . ريمى : آه ؟ ومع ذلك فقد استطعتَ أن تخلق لنفسك هنا جواً من الراحة والهدوء تعيش فيه (متهللة) . هل تتذكر أدوار (البليارد) التى كنت تلعبها فى الحانة ؟

الدكتور : يخيل إلى أن صحة الناس كانت على عهدى خيراً منها اليوم ..

م . ريمى : لا تقل هذا ، يامسيو پرپليه ! بل لم يكن الناس يفكرون في أن يعالجوا أنفسهم . فالأمر إذن جد مختلف . من الناس من يظن أن أهل الريف لا يزالون على الفطرة ولا يهمهم قط أمر أنفسهم ، بل يترقبون حينهم كما يترقبه الحيوان ، أما الأدوية والمعالجة والأجهزة ، وجميع معالم التقدم فهذه إنما خصت بها المدن . هذا وهم ، يامسيو پرپليه ! إننا نقدر أنفسنا كما يقدر غيرنا نفسه ، ونحن ، وإن كنا لا نحب تبذير أموالنا ، إلا أننا لا نتردد في أن ننفق الضرورى على أنفسنا . إنك يامسيو پرپليه ! ممن يرون الفلاح في الصورة الأولى ، الفلاحَ الذى يقتر تقتير أشعب ، والذى يفضل أن يَفقدَ عينه وساقه على أن يشترى دواء ببضعة فرنكات . إن العالم قد تغير ، والحمد لله !

الدكتور : على أى حال ، إذا كان الناس قد سئموا حياة الصحة ، وحلا لهم أن يمرضوا فلا ضيرَ عليهم في ذلك . على أن الطبيب هو وحده الذى يجنى ثمرة بدعهم .

م . ريمى (في حماسة) : لن تجد هنا إنساناً يؤمن بقولك إن الدكتور (كنك) يسعى وراء المادة . إنه هو الذى ابتدع سنة الكشف بالمجان الذى لم نسمع عنه قط قبله . أما عن عيادته المرضى ، فإن الأغنياء وحدهم هم الذين يدفعون أجرها — قل : إنه إذا فعل غيرَ هذا لكان شيئاً يؤسف له —

ولكنه لا يقبل مليما من بائس . وكثيراً ما نراه يخترق الإقليم كلّه وينفقُ بما يساوى عشرة فرنكات (بنزيناً) ، ثم يقف بسيارته الفخمة أمام كوخ حقير ؛ ليفحص سيدة عجوزاً لا تملك قطعة من جبن الماعز اسْتَهديَها إليه . كذلك لا يليق أن تمرّضَ بأنه يكشف عن أمراض عند أقوام ليسوا مصابين بها . أنا نفسى ، قد كُشف على أكثرُ من عشر مرات منذ جاء يومياً إلى الفندق ، وفى كل مرة كان يعمل بصبر لا ينفد ، ويفحصُنى من الرأس إلى أَخْمَص[1] القدم بجميع أدواته مالا يقل عن خمسة عشر دقيقة . وكان يقول لى دائماً بأنى لست مريضة ، وبأنه ليس لى أن أنزعج ، أو أحرمَ نفسى من طعام أو شراب . وما كنت لأستطيعَ أن أجعله يقبل سنتيماً واحداً . ولقد جرى مثلُ هذا للمعلم برنار الذى كانت الأفكار تلاحقه بأنه « حامل للعدوى » ، وما كان يهدأُ له من ذلك بال . فإن الدكتور (كنك) لم يُحجم عن أن يحلل له برازه ثلاث مرات . ومع ذلك ، فهاك المسيو (موسكيه) جاء ليأخذ (عينة) من دم رقم ١٥ مع الدكتور . فتستطيمان أن تتحدثا معا (بعد تفكير طويل) . أعطنى ، إن شئت ، حقيبتك . سأحاول أن أجد لك مكانا .

(١) الأخمص من باطن القدم مالم يصب الأرض .

المنظر الرابع

—

موسكيه و پرپليه

موسكيه : (فى زى طريف) ألم يحضر الدكتور بعد ؟ أه ! الدكتور پرپليه ؟ هـذا طيف ، وربّ الـكعبة . لقد مضى على مغادرتك إيانا عهد طويل .

الدكتور : عهد طويل ؟ ليس إلا ثلاثةَ أشهر .

موسكيه : هذا حق . ثلاثةُ أشهر . يخيل إلى أنّه الدهر (فى تعطف) وهل أنت مسرور فى (ليون) ؟

الدكتور : مسرور جداً .

موسكيه : أه ! على بركة الله . ! إن عندك هناك ، ولا شك ، زبائنَ جاهزة .

الدكتور : هِه ! لقد زاد عليها فى عهدى الثالث . هل مدام ريمى فى صحة جيدة ؟

موسكيه : أحسنُ من ذى قبل .

الدكتور : وهل كانت تشكو من علة ؟

موسكيه : ألا تتذكر الصداع الذى كانت تشكو منه فى أغلب الأحايين ؟ ومع ذلك فأنت لم تُعْنَ بالأمر أية عنـاية . أما الدكتور (كنك) فقد فحصها ووجد أن إفراز البايض قليل، وعالجها بعلاج . . . أتى بالعجب .

الدكتور : آه ! وهل زالت علتها ؟

موسكيه : لم تعد تشكو من صداعها القديم . أما ثقل الرأس الذى ينتابها أحياناً فمرده إلى إنهاك قواها ، وهو أمر طبيعى ؛ لأننا جميعاً منهوكو القوى . وسأضطر إلى أن أبحث عن مساعد يعيننى . ألا تعرف مساعداً ماهراً تثق به ؟

الدكتور : لا ، وسأبحث لك .

موسكيه : آه ! لم نعد نعيش فى حياة الضنك الوادعة التى كنا نحياها من قبل . ولا أكون مبالغاً إذا قلت لك بأننى لو ذهبت إلى فراشى كل ليلة فى الساعة الحادية عشرة والنصف مساء فلن أكون قد انتهيت من إعداد تذاكر الطبيب .

الدكتور : بالاختصار ، لقد وقعتم على كنز من ذهب .

موسكيه : آه ! مما لا شك فيه أن دخلى قد زاد خمسة أضعاف ما كان عليه ، وهذا أمر لا آسف عليه . بيد أن هناك ألواناً أخرى من السرور دخلت على نفسى غير هذه . فإننى ، يا عزيزى دكتور برپليه ! أحب مهنتى ، وأحب أن أرى نفسى نافعاً فى الحياة . وإننى لأجد سروراً فى أن أعمل ليل نهار عن أن أظل بلا عمل . إنها طبيعة الإنسان... وعلى كل ، فهاك الدكتور (كنك) .

المنظر الخامس

الاثنان وكنك

كنك : سلام عليكم . مرحبا ، يادكتور پرپليه . كنت أفكر فيك . هل طاب سفرك ؟

الدكتور : جداً .

كنك : هل قدمت فى سيارتك ؟

الدكتور : لا ، بالقطار .

كنك : آه ! حسناً . إذن جئتَ لأنَّ أجلَ الدين حلَّ . أليس كذلك ؟

الدكتور : الأمر أننى رأيت انتهاز الفرصة . . .

موسكيه : سأتركما يا سادتى (يخاطب كنك) سأصعد عنده رقم ١٥ .

المنظر السادس

كنك وپرپليه

الدكتور : أظنك لم تعدْ تتهمنى الآن بأننى « غششـتُك » ؟

كنك : لقد كان قصدُك كذلك ، يا زميلى العزيز !

الدكتور : أنت لا تنكر أننى تنازلت لك عن مركزى ، وأن هذا المركز ذو قيمة عظيمة .

كنك : آه ! كان يمكنك أن تبقى فيه ، وما كان أحدنا ليضايقَ الآخر . هل حدثك مسيو (مُوسْـكيه) عن أولى النتائج التى وصلنا إليها ؟

الدكتور : نعم .

كنك (يبحث فى حافظة نقوده) : لثقتى فيك أستطيعُ أن أطلعَك على بعض رسومى البيانية . ولك أن تُلحقها بالحديث الذى دار بيننا منذ ثلاثة أشهر . أولا الاستشارات . هـذا الخط البيانى يبين الأرقامَ الأسبوعيـة . نحن بدأنا من رقْـمك أنت الذى أجهله ، والذى قدرتُه بخمسة تقريباً .

الدكتور : أخمسُ استشارات فى الأسبوع ؟ قل: الضعفُ بدون تردد، يا زميلى العزيز !

كنك : ليكن . هاك أرقامى أنا . أنا لا أُعد فيها استشارات يوم الاثنين المجانية . منتصف أكتوبر : ٣٧ ؛ آخر أكتوبر : ٩٠ ؛ آخر نوفبر : ١٢٨ ؛ آخر ديسمبر : لم أُعدها بعد ، ولكنها ستتجاوز الـ ١٥٠ . على أننى ، وقد أصبح وقتى الآن ضيقاً ، سأُضطر للإقلال من الاستشارات ، لأنصرفَ إلى العلاج . إنّ الاستشاراتِ نفسَها لا تهمنى كثيراً ، فما هى إلا فنٌ بدائى ، نوع من صيد السمك بالشبكة . أما العلاج فهو فن تربيته للإكثار منه .

الدكتور : عفواً ، يا زميلى العزيز ! هل أرقامك هذه دقيقة ؟

كنك : جداً .

الدكتور : هل أمكن أن يوجد فى خلال أسبوع واحد ، فى مقاطعة (سان موريس) مائة وخمسون شخصاً كلفوا أنفسهم مشقة المجىء ليقفوا طابوراً أمام عيادة طبيب ليستشيروه ، ويدفعوا له أجرَ استشارته ؟ أوَ لم يُحْضَروا إلى هنا كَرهاً ، أو يُستَعملْ نوع من الإرهاب لإحضارهم ؟

كنك : وربِّك ! لم نحتج فى هذا إلى الشُّرطة ولا إلى الجيش .

الدكتور : هذا مما يصعبُ فهمه .

كنك : لننتقل إلى خط العلاج البيانى . فى أول أكتوبر كان الحال كما تركتَه ، مرضى يعالجون بانتظام بمنازلهم : صفر ، أليس كذلك ؟ (يتظاهر برليه باحتجاج خفيف) ؛ آخر

أكتوبر : ٣٢ ؛ آخر نوفمبر : ١٢١ ؛ آخر ديسمبر : سيكون لدينا ما بين ٢٤٥ و ٢٥٠ .

الدكتور : يخيل إلى أنك تظنني ساذجاً .

كنك : ولم ؟ أما أنا فلا أعتبر هذا الرقم كبيراً . لا تنس أن أسر مقاطعة (سان موريس) تبلغ ٢٫٨٥٣ وأن منها ١٥٠٢ ذاتَ إيرادات يجاوز قيمةُ كل منها ١٢٠٠٠ فرنك .

الدكتور : ما هذا الذى تقول عن الإيرادات ؟

كنك : (يتجه نحو حوض الغسيل) : إنك لا تستطيعُ ، مهما كانت الحال ، أن تفرض على عائلة لا يبلغ دخلها السنوىُّ اثنى عشر ألف فرنك أن تتكفلَ فى حالة مستمرة بمريض من بينها ؛ إن عملا كهذا يعد إفراطاً . كذلك يختلف النظر للآخرين ، فليس من المعقول أن يفرض عليهم نوع متشابه من العلاج . إن لدى أربعَ درجات متفاوتة من العلاج ، أقلها نفقة لمن يتراوح دخلهم بين اثنى عشر وعشرين ألف فرنك ، وهذه تستوجب عيادة واحدة فى الأسبوع ، ويتبعها نحوٌ من خمسين فرنكا فى الشهر ثمناً لأدوية . أما أعلاها فعلاج الرفاهية ، ويكون لمن يزيد دخلهم على خمسين ألف فرنك فى العام ، ويقتضى أربع عيادات على الأقل فى الأسبوع ، ونحواً من ثلثمائة فرنك فى الشهر ثمناً للدواء : أشعة إكس ، راديوم ، تدليك كهربائى ، تحليل ، تطبيب عادى ، الخ .

الدكتور : كيف تستطيع معرفة دخل زبائنك ؟

كنك (يبدأ فى غسل يديه جيداً) : ثق أنني لا أعرف هـذا من موظفى مصلحة الضرائب ، وحسناً فعلتُ . إذ بينما وقفتُ على أن بالإقليم ١٥٠٢ دخلا يزيد قيمة كل منها عن ١٢٫٠٠٠ فرنك يعـدُّ مأمور الضرائب ١٧ فقط ؛ وأكبرُ دخل فى قائمتى هو ١٢٠٫٠٠٠ فرنك . فنحن بهذا لانتفق قط ؛ ويفسره ... أنه يعمل للدولة .

الدكتور : ومن أين استقيت معلوماتك إذن ؟

كنك (يبتسم) : من مصادرَ عدةٍ ؛ إنه عمل هين ، ولقد قضيت فيه أكبر قسط من شهر أكتوبر ، ولا أنقطعُ عن إعادة النظر فيه لتعديل أرقامه . انظر هذا ، أليس جميلا ؟

الدكتور : كأنها خريطة الأقليم . وما معنى هذه النقط الحمراء ؟

كنك : هذه خريطة التغلغل الطبى ، وكل نقطة حمراءَ تدل على وجود مريض دائم . لو رأيت هذا منذ شهر لوجدتَ هنا بقعة عظيمة شهباء : إنها بقعة الشابْرِيير Chabrières

الدكتور : ماذا تقول ؟

كنك : نعم ، باسم (العزبة) التى تقع فى وسطها ! لقد قصرت عنايتى فى الأسابيع الأخيرة خاصةً على هذه المِـنطقة، وأنا ، وإن لم أستطع محوَ البقعة تماما ، إلا أنني قطعتها إرْباً ، فلا تـكادُ تُرى . أليس كذلك ؟ (سكون)

الدكتور : أنا لو حاولت ، يا زميلى العزيز ! أن أكتم عنك دهشتى فلن أستطيع . أنا لا أستطيعُ أن أشك فى النتائج التى تحصلت لديك ؛ لأنها تأيدتْ عندى من مصادر عدةٍ . إنك رجل مدهش . ربما كتم غيرى عنك هذا فلم ينطقْ به ، وإن كان يدور بخَلَده ، وإلا لما كان طبيباً . فهل تأذن لى فى السؤال ؟

كنك : سل ما شئت .

الدكتور : لو كنتُ على علم بطريقتك ..! لو كنتُ على علم تام بها .. ولم يبق على إلا العملُ بها . . .

كنك : ثم ماذا ؟

الدكتور : أَلا أحسُّ بوخز ضميرى ؟ (صمت) أجبنى .

كنك : يخّيل إلىّ أن عليك أنت أن تجيب .

الدكتور : الحظ أننى لا أقطع برأى ، إنما أَعرِض لأمر غاية فى الدقة
(صمت)

كنك : لم أفهم جيداً المعنى الذى ترمى إليه

الدكتور : ستقول إننى حنبلى ، أدقق فى الأمر ؛ ولكن أليس من دأبك أن تجعل مصلحة المريض دون مصلحة الطبيب ؟

كنك : أنك تنسى ، يا دكتور (پرپليه) ! أن هناك مصلحة أسمى من هاتين المصلحتين .

الدكتور : ما هى ؟

كنك : مصلحةُ الطب . إنها وحدها التى تَعنينى . (صمت پرپليه يتأمل)

الدكتور : نعم ، نعم ، نعم

(يتحور منذ هذه اللحظة حتى آخر المسرحية ضوء المسرح شيئاً فشيئاً الى ضوء طبى ، تسوده الاشعة الخضراء والبنفسجية)

كنك : لقد تركتَ لى إقليما يسكنه بضعة آلاف من الأشخاص المجهولى الحال، لا هم مرضى ولا أصحاء ، فكان من واجبى أن أعينهم ، أن أجعلهم يعيشون عيشة طبية . أضعهم فى فراشهم، ثم أرى ماذا سيكون ؛ فسأجدُ فيهم المصابَ بذات الرئة ،والمريضَ بأعصابه ، والمتصلبَ الشرايين. إنما نبحث عن شخص . سبحان الله ! شخص ! إن ما يضايقُنى هو هذا الكائن الذى ليس بمريض ولا بصحيح ، والذى يسمونه الرجل السليمَ البِنية .

الدكتور : ولكنك لن تستطيعَ أن تجعلَ الناس جميعاً يلزمون الفراش !

كنك (وهو يمسح يديه) : هذا ما لا أسلم به ؛ فأنا أعرِفُ خمسة أشخاص من أسرة واحدة ، جميعُهم مرضى ، وجميعهم يلزمون الفراش . وأمورهم تسير كالعادة . إن اعتراضَك يذكرنى بفكرة هؤلاء الاقتصاديين الذين يدعون أن حرباً شعواء لا يمكن أن تدومَ أكثر من ستة أسابيع . الحق أن الجرأة تنقصنا جميعا ؛ وإن إنساناً ، ولو كنتُ أنا ، لا يجرؤ على أن يُلزم شعباً بأسره الفراش ليرى ! لنفرض ذلك ، ليرى ! أنا من رأيك فى أنه لابد من أناس أصحاء الأجسام — وما أحوجَنا إليهم للسهر على صحة الآخرين ،

أو ليتألف منهم الرديف خلف جيش المرضى العامل . أما ما لا أرضاه فهو أن تأخذ الصحة طريق التحدى ، لأن مثل هـذا يعد خروجاً عن الطوق . إننا نُغْمِضُ العينين على عدد عديد من الحالات ، فندعُ لكثير من الناس قناع وَفْرة الصحة ؛ لكنهم إن جاءونا يخاطرون ، ويسخرون منا ، فهذا ما يغضبنى . ولقد حدث مثلُ هذا لمسيو رَفَّالَنْ Raffalens

الدكتور : آه ! العملاق ! هذا الذى يدّعى أنه يَحْمِلُ حماه وذراعُه ممدودة ؟

كنك : أجل . لقد تحدانى ثلاثة أشهر .. ولكنَّ قُضِى الأمر .

الدكتور : ماذا ؟

كنك : إنه فى الفراش . لقد أوشكت مباهاته أن تُضعف الروح الطبى فى نفوس الناس .

الدكتور : ومع ذلك فقد بقيت هناك عقبةٌ كَأْدَاء .

كنك : أيةُ عقبة ؟

الدكتور : إنك لا تفكر إلا فى الطب ... فهلا فكرت فى غيره ؟ أولا تخشى أن يكون فى إرغامك الناس على ملازمة الفراش، بطريقتك هذه تعويق لمظاهر النشاط الاجتماعى الأخرى التى لا ينكر أحد فائدة الكثير منها ؟

كنك : هذا لا يعنينى . إنما أنا طبيب .

الدكتور : حقاً ، إن المهندس حين يضع شريط القطار لا يسأل نفسه عما يراه طبيب الريف في هذا العمل .

كنك : طبعاً ! (يصعد إلى قعر المسرح وينظر من شباك) : تعال وانظر هذا ، يا دكتور برپليه ! إنك تعرف المنظر الذى نراه من هذا الشبّاك ، وما أظنك إلا ألقيت عليه نظرة ما بين دورين من لعب البليارد ! هناك يحدّد جبلُ aligre آخرَ الأقليم ونلمحُ قريتى Mesclat و Trébures على اليسار ؛ ولولا أن منازل (سان موريس) تبدو على هيئة أكمة لرأينا جميع ضياع الوادى صفاً واحدا . على أن الذى استرعى — ولا شك — نظرك فى ذلك المكان ليس إلا جمال الطبيعة التى أنت مولع بها . إن المنظر الذى تتأملُ وعر ، لا تكاد الحياة الإنسانية توجد فيه . ولكنى أقدمه اليوم إليك ، وقد خالط الطب أوصاله ، وسرى فيه دم فننا ، فأحياه . لم أكن نخوراً حين زرعت نفسى هنا للمرة الأولى ، غداةَ وصولى ، فقد كنت أشعر بأن وجودى عديمُ الفائدة ؛ لأن هذا الحقلَ المترامى الأطراف كان فى غنى عنى وعن أمثالى . أما الآن فوجودى فى هذا المكان يبعثُ فى نفسى الراحةَ التى يحس بها العازف بالأرْغُن العظيم وهو جالس أمام آلته . ففى مائتين وخمسين من هذه المنازل — هيهات أن نراها جميعاً لبعدها ، ولاحتجابها خلف ورق الشجر — مائتان وخمسون غرفة يعترف فى كل منها واحد بالطب ،

مائتان وخمسون سريرا ، عليها مائتان وخمسون جسما مستلقية تُقر بأن للحياة معنى ، وبفضلى أنا ، معنى طبياً . ويزداد جمال هذا الحُـلْمِ فى الليل لوجود الإضاءة . فالمصابيح تكاد تـكون كلُّـها لى ؛ إذ ينام غيرُ المرضى فى الظلام الدامس ، فلا يُعـَدون شيئاً مذكورا . أما المرضى فتظلُّ سُرُجهم أو مصابيحهم موقدة . وهؤلاء الذين ظلوا على هامش الطب يـكفينى الليلُ شرهم ، ويكتُم عنى مضايقـَتهم وتحديهم . لقد تحول الإقليم إلى نوع من الرقعة السماوية خلقتُـه ، ولا أَنِى عن خلقه . ثم لا حاجة بى لأن أحدثك عن دقات الساعات ، فلقد أصبح عملُها الأولُ تذكيرَ جميعِ الناسِ بوصاياى ؛ إنها صوتُ أوامرى . تصور أن الساعة العاشرة تعنى عند جميع هؤلاءِ المرضى قياسَ الحرارة الشرجيّة للمرة الثانية ، وأنه بعد لحظات سيدخل الأدبارَ مائتان وخمسون مقياساً للحرارة ...

الدكتور (يقبض على ذراعه بتأثر) : يا زميـــلى العزيز ! سأقترح عليك أمراً ؟

كنك : ماذا ؟

الدكتور : إن امرءا مثـلك ليس مكانُه فى مركز من مراكز الريف بل فى مدينة عظيمة .

كنك : سنأخذ بها ، إن لم يكن اليوم فغدا .

الدكتور : حذارِ ! إنك اليوم فى القمة من قواك ، وستأخذ فى الاضمحلال بعد بضع سنين . صدق مجربا .

كنك : ثم ماذا ؟

الدكتور : عليك إذن ألا تنتظر طويلا .

كنك : هل تعرف مركزا أشرف عليه ؟

الدكتور : مركزى . سأنزل لك عنه . هذه خير وسيلة أعبر لك بها عن إعجابى بك .

كنك : حسنا ... وأنت ، ماذا تفعل ؟

الدكتور : أنا ؟ سأكتفى بسان موريس .

كنك : حسنا .

الدكتور : وسأذهب إلى أبعد من هذا . سأنزل لك عن بضعة الآلاف من الفرنكات التى أنت مدين لى بها .

كنك : حقاً ... إنك لست من البلاهة بالدرجة التى تبدو عليك .

الدكتور : كيف هذا ؟

كنك : إنك قليلُ الإنتاج ، ولكنك تعرف كيف تبيعُ وتشترى ؛ وهذه صفات التاجر .

الدكتور : أؤكد لك أن ...

كنك : بل إنك ، فى نوعك ، عالِم نفسىٌّ كبير . أنت تتوهم أننى لم أعد أهتمُّ بالمال ، ما دمت أربح منه كثيرا ، وأن تغلغل

الطب فى حى أو حيين من (ليون) سينسيني سريعاً رسمى البيانى فى سان موريس . على رِسْلك قليلا ، فليس فى عزمى أن أدركَ الهرَمَ هنا ؛ ولكن ما الذى يحملنى على أن ألقى بنفسى فى أحضان فرصة غير مواتية !

المنظر السابع

الاثنان وموسكيه

(يخترق موسكيه الردهة وهو يتوارى ؛ ليخرج فى الشارع ، فيوقفه كنك)

كنك : اقترب ، يا صديق ! أتعرف ماذا يعرض على الدكتور برپليه ؟ . أن نتبادل المراكز ، فاذهب أنا مكانه فى (ليون) ويخلفنى هو هنا .

موسكيه : لعله يمزح .

كنك : لا ، قط . بل الأمر جدٌّ لا هزل .

موسكيه : أكادُ يغشى على ! لقد رفضت طبعاً .

الدكتور : ولماذا يرفض ؟

موسكيه (لپرپليه) : لأن كل عاقل يرفض أن يقايض بندقية صيد من طراز hammerless ثمنها أكثرُ من ألفى فرنك بمسدس ذى هواء مضغوط يلهو به الأطفال . إن فى وسعك كذلك أن تعرض عليه تبادل سيارتيكما .

الدكتور : صدقنى بأن زبائنى فى (ليون) من عِلْيَة القوم . لقد كنت خلفاً للدكتور Merlu الذى كان ذا شهرة فائقة .

موسكيه : هذا حق . ولكن كان ذلك منذ ثلاثة أشهر —

وفى ظرف ثلاثة أشهر يخطو الإنسان كثيراً ؛ ويكون خطوه أسرع فى النزول منه فى الصعود . (لكنك) ، ثم يا سيدى الدكتور ! إن سكان (سان موريس) لن يقبلوا أن تتركهم .

الدكتور : وما دخل سكان (سان موريس) فى هذا ؟ إننا لا نسألهم رأيهم .

موسكيه : ولكنهم سيبدونه لك . لا أقول بأنهم سيضعون المتاريس فى الطريق فليس هذا من شيمتهم، وليس لدينا ما يكفى من الحجارة، ولكنهم يستطيعون أن يجعلوك تأخذ طريقك إلى (ليون)، (يرى مدام ريمى Rémy) وها أنت ذا ستحكم بنفسك .
(تدخل مدام ريمى تحمل أطباقا)

المنظر الثامن

كنك وپرپليه وموسكيه ومدام ريمى

موسكيه : يا مدام ريمى ! أنا أحمل إليك بشرى ، سيترك‍نا الدكتور (كنك) ، وسيعود إلينا الدكتور (پرپليه) .

تسيب رصة الاطباق ، ولكنها تتلقفها بسرعة ثم تسندها إلى صدرها كيفما اتفق.

م . ريمى : آه ! أما هذا فلا . أنا أقول لكم بأن هذا لن يحدث ، اللهم إلا إذا خطفه ليلا فى طيارة ؛ لأننى سأبلغ الناس جميعاً ، ولن يتركوه يغادرنا ؛ سنخرق عجل سيارته ، أما أنت ، يا مسيو (پرپليه) ! فإذا كنت قد قدمت لهذا الأمر فيؤسفنى أن أقول لك بأن ليس لدي غرفة واحدة تنزل بها ؛ ونحن ، وإن كنا لا نزال فى الرابع من يناير ، فستضطر للمبيت فى العراء .

تضع صحونها على خوان

الدكتور (فى غاية التأثر) : حسناً ، حسناً ! إن موقف هؤلاء الناس من رجل ضحى بخمس وعشرين عاماً من حياته فى خدمتهم موقف مخجل ؛ ومادامت (سان موريس) لم يعد فيها مكان لغير الدجل والشعوذة ، فإنى أفضل أن أكسب قوتى بشرف

فى (ليون) ، بشرف وعن سمعة . وإذا كنت قد فكرت لحظة فى أن أسترد مكاني هنا ، فما كان ذلك إلا لأن صحة زوجتى لا يلائمها جو المدن الكبيرة . ولنعجل ، يا دكتور (كنك) ! بتصفية حسابنا ، فإني سأسافر الليلة .

كنك : يا زميلى العزيز ! إنك لا ترضى بأن تهيننا هذه الإهانة . إن مدام ريمى ، وقد فوجئت بخبر لم تكن تتوقعه ـ وإن كان غير صحيح ـ وكادت الصحون تسقط من بين يديها فهزت رِيانها ـ فقدت السيطرة على لسانها ، فعبر عما فى نفسها . أما الآن ، وقد صارت أطباقها فى حرز مكين ، فقد استعادت طيبتها المعهودة ، ولا تعبر عيناها إلا عن الاعتراف بالجميل الذى يشاركها فيه جميع سكان (سان موريس) عن الخمسة والعشرين عاما التى قضيتها بينهم فى رسالة صامتة .

م . ريمى : لا جرم أن الدكتور (پرپليه) كان دائماً رجلا فاضلا ، وكان يحافظ على مكانته محافظة أى شخص آخر فى مكانه طَوال الفترة التى كنا فيها فى غنى عن طبيب . ولم يكن هذا ليضايقنا إلا إذا نزل وباء . فإن الطبيب الحق ما كان ليترك هذه الألوف المؤلفة إبان الحمى الإسبانية تسعى إلى القبور .

الدكتور : «الطبيب الحق» ! ما هذا الذى أسمع ؟ ! أأنت تعتقدين إذن ، يامدام ريمى ! أن « الطبيب الحق » يستطيع أن يقاوم حمى عالمية ؟ كما لو كان خفير الحقل يستطيع أن يقاوم الزلزال .

انتظرى الحمى القادمه ، وسترين إذا كان الدكتور كنك سيفعل خيرا مما فعلت .

م . ريمى : الدكتور (كنك) ... اسمع يا مسيو (برپليه) ! لن أناقشك فى مسائل السيارات ، فانى لا أفهم فيها شيئاً ، ولكنى أصبحت أفهمُ مَنْ هو المريض ، وأستطيعُ أن أقول لك بأن إقليما كهذا ، وقد لزم جميع سكانه الضعفاء الفراش ، ليسخرُ كل السخرية من الحمي التى تنذره بها . إن ما يَهُولنا ، كما كان يقول المسيو (برنارد) منذ أيام فى محاضرته ، هو رعد فى سماء صافية .

موسكيه : ياعزيزى الدكتور ! ليس من الحكمة أن تثير مسائل كهذه هنا ، فان الروح الطبى ــ الصيدلىّ مسيطر على كل انسان . والناسُ جميعاً على علم بما يقال ؛ وإن العامة لعلى استعداد لأن يواجهوك بهذا .

كنك : لا داعى لأن نَضِل فى مناقشات صبيانية . فقد تختلف مدام ريمى مع الدكتور برپليه فى الرأى ، ولكن كلا منهما يستطيعُ الاحتفاظ بما يُكنه للاخر من وُد (الى مدام ريمى) هل عندك غرفة للدكتور ؟

م . ريمى : لا . إنك تعرف أننا نعانى الأمرين فى إسكان المرضى . فإذا ما وفد علينا مريض بذلت قصاري جُهدى فى أن أجد له مكانا ؛ فهذا واجبى .

كنك : وإذا أخبرتك بأن صحة الدكتور لا تمكنه من أن يسافر عصر اليوم ، وأنه فى حاجة ، فى نظر الطب ، إلى راحة لا تقل عن يوم كامل فى السرير فماذا ترين ؟

م . ريمى : آه هذا أمر آخر . وهل قدم مسيو (پربليه) ليعرضَ نفسه على الطبيب ؟

كنك : وإذا كان قد جاء ليعرض نفسه على الطبيب ، فإن سر المهنة يمنعنى من أن أعلنَ هذا على رؤوس الأشهاد.

الدكتور . ما هذا الذى تقول ؟ إننى سأسافر الليلة ، هذ ما عزمت عليه

كنك (ينظر إليه) : يازميلى العزيز ! إنى جاد فيما أقوله لك . أنت فى حاجة ماسة إلى الراحة أربعا وعشرين ساعة . فليس من رأيى أن تسافر الليلة ، وإذا اقتضى الأمر فسأعارضُ فى سفرك .

م . ريمى : حسنا ، حسنا ! يادكتور ! ما كنت أعلم ذلك، إننا سنجد فراشاً للمسيو (پرپليه) ، فلتطمئن . هل لابد من قياس حرارته ؟

كنك : سأحدثكِ فى هذا بعد قليل

(مدا ريمى تنصرف)

موسكيه : سأترككما لحظة ، أيها السادة (لكنك) لقد كسرت إبرة وسأذهب إلى الصيدلية لأبحث عن أخرى .

(يخرج)

المنظر التاسع

كنك وبربليه

الدكتور : قل لى ما هذه الدعابة ؟ (صمت قصير) . أشكرك على كل حال . وإنه ما كان ليدخلَ السرورَ على نفسى أن أسافر هذه الليلة مدة ثمانى ساعات (صمت قصير) ، فلم أعد شاباً فى سن العشرين ؛ وإنى لأرى ذلك (صمت) . إن احتفاظك بمظهر الجاد ليدعو إلى العجب ، فمنذ لحظة كانت هيئتك غريبة ، وأنت تقول ذلك . (يقف) وأنا ، وإن كنت أعرف بأن هذه كانت دعابة ، لأننى أعرف سر المهنة ... أجل ، سحنة ونظرة ، كما لو كنت قد سبرت غَوْرى حتى وصلت قرارة الأعضاء .. أه هذا أمر صعب الاحتمال .

كنك : لا حيلة لى فى ذلك ، فهذا يحدث على غير إرادة منى . فمتى وجدت نفسى أمام إنسان بدأت فى فحصه من غير أن أشعر ، حتى ولو كان ذلك بغير جدوى ، ولا داعى له . (فى تأكيد) لقد بلغ بى الأمر أننى منذ مدة أتجنب النظر فى المرآة ..

الدكتور : فحص .. ماذا تعنى بهذا ؟ فحص خيالى أو .. ؟

كنك : كيف هذا ؟ خيالى ؟ أقول لك بأننى كلما التقيت بشخص نظرت إليه على غير إرادة منى نظرة تقع على كثير من العلامات الصغيرة التى لا تلمح كالجلد وبياض العين

وحدقتها ، وطريقة التنفس ، والشعر ، وغيرها ووجدت آلة الفحص فيَّ قد بدأت تعمل وحدها . من الواجب إن أبدأ فأراقب نفسي ، فالأمر بلغ حد الحماقة .

الدكتور : لكن .. اسمح لى . إنى ألح إلحاحا قد يضحكك ، ولكن لدى من الأسباب ما يحملنى على هذا الإلحاح .. حينما قلت لى بأننى فى حاجة إلى أن أستريح يوما ، أكان ذلك دعابة منك ، أو كان .. ؟ أعود فأقول إذا كنت ألحُّ فلأن فى هذا ما يجيب عن بعض المشاغل التى لدى . إنني حقاً لم يخف على أن فى نفسى كذا وكذا منذ مدة . لذلك يهمنى أن أعرف ، ولو نظريا ، إن كانت ملحوظاتى تتفق وما أسميته الفحص غيرَ الارادى الذى فحصتَه

كنك : لنترك هذا الآن ، يازميلى العزيز ! (الساعات تدق) . إن الساعة تدق العاشرة ، وعليَّ أن أمر بمرضاى . سنتغدى معاً إذا كنت ترغب فى أن تبرهن لى على صداقتك . أما صحتك ، وما يمكن أن يقال فيها ، فسنتدبر الأمر فى عيادتى عصر اليوم ، وسيكون لدينا متسع من الوقت .

يبتعد (كنك) ، وينتهى ناقوس الساعة من الدقات العشر ويستغرق بربليه فى التفكير ، وتخور قواه فيقع على كرسى . تظهر مدام ريمى وسيبيون والخادمة يحملون أجهزة طبية مألوفة ، ويعبرون فى وسط الضوء الطبى .

[تم طبع مسرحية « بين الطب والدجل » فى مطبعة
لجنة البيان العربى بالقاهرة فى يوم ١٥ من ربيع الثانى
سنة ١٣٧٢ الموافق أول يناير سنة ١٩٥٣ . والحمد لله
أولاً وآخراً]

رشيد محفوظ كامل
المدير الفنى للمطبعة

